الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العـــــالي والبحـــث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى –جيجل–
كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم: اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

الذاكرة والتباس الهوية في كتاب "خارج المكان" لإدوارد سعيد

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
– عفاف بوالنمالة.
– شهيناز لرقط.

إشراف الأستاذة:
حياة هروال

لجنة المناقشة:

1– وداد حلاوي..... رئيسا
2– حياة هروال ..... مشرفا
3– كريمة بوخاري..... ممتحنا

السنة الجامعية:
2019 / 2020م

شكر وعرفان

في البداية، الشكر والحمد لله، جلّ في علاه، فإليه ينسب الفضل كله في إكمال- والكمال يبقى لله وحده- هذا العمل والسلام على أشرف خلق الله حبيبنا محمّد.

وبعد الحمد لله، فإننا نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذة الكريمة "هروال حياة"،على كل ماقدّمته لنا من توجيهات ، ومعلومات قيّمة، ساهمت في إثراء موضوع دراستنا في جوانبها المختلفة ، ومشاركتها لنا خطوة بخطوة لإتمام هذه الدراسة من البداية إلى المضمون وصولا إلى الختام.

كما نوجّه عبارات الشكر للأستاذة"بن عكوش سامية" التي كان لها الفضل في اختيارنا للموضوع بإقتراحها لعنوان الكتاب.

كما نتقدّم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين نرجو أن نستفيد من ملاحظاتهم القيّمة.

وبعدها الشكر موصول لكلّ أساتذتنا الذين تتلمذنا على أيديهم، في كل مراحل دراستنا حتى نتشرّف بوقوفنا أمام حضراتكم اليوم.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

أغلى ماأملك، من كانا سببا في وجودي، وتقاسما معي فرحة نجاحي وحزن إخفاقي، وكانا الحبر الأساسي بناء حياتي ومعارفي، اللّذان لن أستطيع أن أوفيّهما حقّهما وتعبها وجميلهما وسهرهما ولو مقدار شقّ في ثمرة منه، إلى من وضع المولى سبحانه وتعالى الجنّة تحت قدميهما ووقّرها في كتابه العزيز حبيبتي ملكتي أمي وإلى صاحب الوجه الطيّب الذي لم يبخل عليّا طيلة حياته، سندي وبطلي أبي.

إلى أحباب قلبي، من تقاسمنا حب وحنان والدينا وتقاسمنا الفرح والحزن، وكنا سندا لبعضنا وفخرا لوالدينا، إلى إخوتي نسرين وزوجها محمد، محي الدين، أمين، وآخر العنقود ماجدة.

إلى سندي الثاني عمي "توفيق" وقرّة عينيه أولاده"ناريمان،منال، وعبد الرحمن"، وأفراد عائلته.

إلى جدتي الغالية وجدي الراحل –رحمه الله–

وأصدقائي الأعزّاء الذين كانوا مصدر دعم وإعانة، إلى خالتي وأبنائها رميسة،سيف الدين، وشهيناز مراجي.

عفاف

الإهداء:

إلى صاحب السيرة العطرة،والفكر المستنير الذي كان له الفضل الأول في بلوغ التّعليم العالي ،والدي الحبيب"لرقط عبد الوهاب" أطال الله في عمره.

إلى من وضعتني على طريق الحياة، وجعلتني قدوة لها ورعتني حتى صرت كبيرة،"أمي الغالية خروفة بولخماير".

إلى إخوتي التسعة" دليلة، عماد،جميدة، فريدة،عليمة،سلاف، بوجمعة ليلى، بدر الدين"، من كان لهم بالغ الأثر في كثير من العقبات والصعوبات.

إلى زوج أختي"عياش حمزة" له كل الشكر والتقدير والاحترام الذي كان يمد لي يد العون منذ بداية المشوار.

إلى أعز الأصدقاء، زميلتي في البحث عفاف، بالإضافة إلى:صباح، وسماح، خديجة، وفاء، سامية، بلال....

وفي الختام إلى جدتي العزيزة "فاطمة لكحل" حفظك الله.

شهيناز

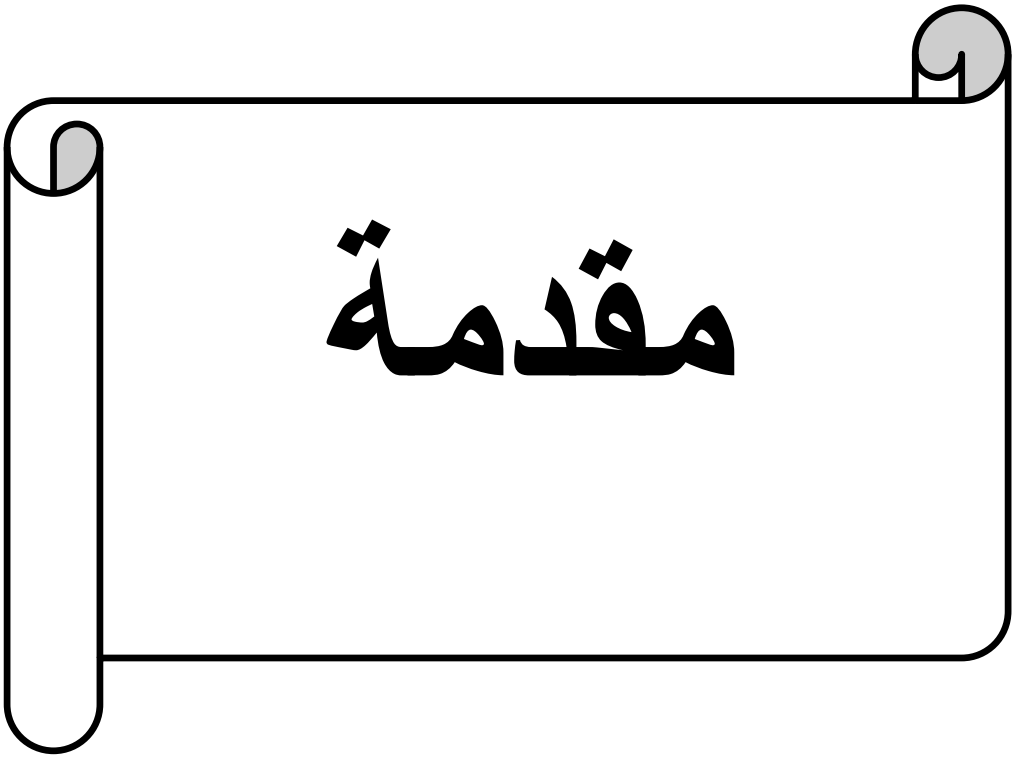
مقدمة

مقدمة

تعتبر الدراسات ما بعد الكولونيالية حقلا معرفيا حديث النشأة، يدخل ضمن حقول الدراسات الثقافية، تعود بداياته الأولى إلى منتصف القرن العشرين، و هي الفترة التي شهدت تحرّر واستقلال الدول من المستعمر، والتي تهتم بتفكيك وكشف الجانب الخفيّ للكولونيالية، من خلال دراسة جملة من القضايا والمسائل كالتركيز على فضح نوايا وأهداف المستعمر، وتأسّست على يدّ كلّ من (غاياتري، هومي بهابها، إدوارد سعيد)، هذا الأخير الذي يعتبر من أهم المنظرين لفكر ما بعد الكولونيالي، بحيث نلمس معالم هذه النظرية في جلّ كتبه؛ ككتاب الإستشراق، الثقافة والإمبريالية، وخارج المكان،هذا الأخير الذي أكّد من خلاله على شعوره بالاغتراب عن هويته لانفصاله عن الوطن و صراعه مع المكان عن طريق الذاكرة، و عليه تطرقنا في بحثنا هذا إلى" الذاكرة والتباس الهوية في كتاب خارج المكان لإدوارد سعيد" بهدف الاقتراب من الاتجاهات الفكرية والسياسيّة والثّقافية في فكر " إدوارد سعيد" فيما يتعلق بسيرته، والوقوف عند الانشطارات التي رسمت مسار علاقته بالذاكرة والهوية والمكان من خلال سرد معاناته واضطرباته العديدة. حيث تلقي هذه القراءة الضوء على سيرة " إدوارد سعيد" بوصفها خطابا ما بعد كولونياليا.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يسلّط الضوء على حقل دراسات ما بعد الكولونيالية من خلال أعمال الناقد والمفكر" إدوارد سعيد" الذي قام بكشف أوّل أهداف الكولونيالية المتمثّلة في كسر العمود الفقري للشعوب المستعمرة، من خلال إثارة قضية مهمة عن الواقع الغربيّ و عن الهوية العربية المتشظية المفضية إلى الشعور بالاغتراب.

ومن هنا كان لابدّ من طرح سؤال إشكالي جوهري: كيف تجلّت ملامح الوعي ما بعد الكولونيالي في سيرة "إدوارد سعيد"؟ وكيف ساهمت الذاكرة عنده في تقديم وتفسير الهوية ووعيه للذات وللآخرين من خلال كتابه "خارج المكان" ؟ و قد تفرعت عن هذا السؤال عدّة أسئلة أخرى:

- ما هي القضايا التي ركّز عليها " إدوارد سعيد" في سيرته؟.

- وما الذي عرضته ذاكرته فيما يخص توسيع هويته وبنائها بشكل دينامي متحرك ومتفاعل؟ وكيف اكتسب الإحساس بعدم الانتماء عنده؟.

- وكيف حوّل المكان إلى حيّز للقصّ الاستذكاري؟ ومقياس يقيس به الأمكنة والزمن وعلاقته بالآخرين؟

- وأين نلمس جمالية السيرة الذاتية في كتابه " خارج المكان" ؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا خطة عمل ممنهجة انتظمت في مقدمة ومدخل وفصل وخاتمة، وهي كالتالي:

مدخل: فهو عبارة عن مدخل إلى السيرة الذاتية، كتمهيد نظري للبحث؛ من خلال بيان مفهومها، واستعراض تاريخها وحقيقتها، وأسباب ظهورها وبروزها في الفترة الأخيرة.

الفصل الأول: زاوجنا فيه بين النظري والتطبيقي، فهو قراءة حول تجليات الذاكرة والهوية في كتاب " خارج المكان"، و قد جمعنا الشّق النظري والتطبيقي في فصل واحد قسمناه إلى أربع مباحث، الأوّل تناولنا فيه جمالية السيرة الذاتية في مشروع " إدوارد سعيد" الفكري والنقدي، والثاني تطرقنا فيه إلى مفهوم الذاكرة وتجلياتها في سيرة " إدوارد سعيد"، والمبحث الثالث فهو يقدّم ويوضّح قصة تشظي الهوية عند " إدوارد سعيد" والتباسها أمّا المبحث الرابع، فكان بعنوان: العلاقة بين الذاكرة والهوية عند " إدوارد سعيد"؛ وتوضيح كيفية مساهمة الذاكرة في خدمة الهوية.

وأخيرا الخاتمة فكانت عبارة عن حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من بحثنا، ومن فكر " إدوارد سعيد" عموما.

وقد اعتمدنا في الدراسة على عدّة مقاربات ثقافية منها ما ارتبط بالهوية، المكان، الذاكرة، إضافة إلى آليتي المنهج الوصفي: التحليل والاستقراء، للكشف عن طبيعة موضوع الذاكرة والهوية عند " إدوارد سعيد" في سيرته الذاتية، باعتبار هذه الأخيرة تأريخا لحياة الفرد وتجاربه. ومحاولتنا بلورة رؤية واضحة حول موضوعي الذاكرة والهوية

عند " إدوارد سعيد" –كل واحدة منهما على حدة من خلال جمع الحقائق للمادة، ومن ثمّ تحليلها وربطها بالمتغيرات والأحداث والوقائع، سعيّا إلى الوصول إلى حقيقتها. ذلك نظرا لأهميتهما الكبيرة والمتمثّلة في السماح للقارئ بجمع المعلومات الماضية والعمل على ترتيبها وتصنيفها ونقدها ثم عرضها في صورة حقائق، إضافة إلى أنّه يوّسع مدارك الباحث ويمدّه بالمعلومات المستفيضة ورصد العناصر وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها.

وقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة المصادر والمراجع أهمها :كتاب" الثقافة و الامبريالية"لإدوارد سعيد، كتاب "الذاكرة و الهوية"لجويل كاندو ،كتاب "السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)" لفيليب لوجون، كتاب" "السلطة والسياسة والثقافة " لإدوارد سعيد،إذ ساعدتنا وأثرتنا بالمادة اللغوية فكانت بالنسبة لنا المفاتيح الأساسية للولوج إلى جوهر البحث والدراسة.

جدير بالذكر أنّ اختيارنا لهذا الموضوع تحكمت فيه جملة من العوامل والأسباب، منها

أسباب موضوعية وأخرى ذاتية، أمّا الموضوعية التي كانت وراء اختيار هذا الموضوع هو تناول " إدوارد سعيد" لمسألة الذاكرة وارتباطها الوثيق بسؤال الهوية يختلف عما سبقه ممن تناول الموضوع ذاته.

و تأثيرا "إدوارد سعيد " على جيل بأكمله، حيث لقى صدى كبير وتناولته مئات الدراسات والمقالات، كما أنجزت أفلام حول سيرته الذاتية، باعتبارها سيرة غير عادية،و " إدوارد سعيد" بدوره ليس شخصا عاديا، بل شخص جدلي إشكالي، فهو بمفرده استطاع أن يثبّث القضية الفلسطينية على محور أهم قضايا العالم.

أمّا الأسباب الذاتية فتأتى بما تتسم به سيرته الذاتية من ثراء وغنى وغوص في أعماق الواقع الوطني، والقومي، والثقافي، والإنساني، " لإدوارد سعيد".

تتبّع وتحليل فكر" إدوارد سعيد" النقدي والإنساني من خلال سيرته الذاتية بوصفها خطابا ما بعد كولونيالي. وقد سعينا من خلال بحثنا هذا أن نقترب من ملامح السيرة الذاتية، " لإدوارد سعيد" وتحليل عناصرها

المكوّنة، وكشف خبايا الخطاب السّيري، السردي غير المنفصل عن السّياق التاريخي والثقافي. وتوضيح كيفية تشظي وعي " إدوارد سعيد" بين وعيين، وعي الهوية ووعي الكولونيالية .

ومحاولة الوصول إلى التفاعل المتبادل بين الذاكرة، والهوية، المكان الذي أعطى سيرته مجالا واسعا للتعبير فيها عن موضوعات متعددة ومتنوعة، جعلت من سيرته الذاتية، نصا مفتوحا يربط الكاتب والقارئ.

وأثناء دراستنا لهذا الموضوع اعترضننا عدة صعوبات أهمها: الظروف الصحية التي عشناها والتي لم يسبق أن آلت إليها البلاد، ممّا عرقلّت عملية التواصل مع الأستاذة المشرفة، وصعوبة التنقل من أجل الحصول على المادة العلمية، والغياب الطويل عن مجالس العلم. إضافة إلى الصعوبة التي واجهتنا في بحثنا، تداخل مفهومي الذاكرة والهوية عند "إدوارد سعيد"، مما جعلنا نتعامل بجدر وتركيز أكثر من أجل تفادي ظاهرة التكرار.

وفي الأخير نتوجه بالشكر الجزيل لكل الذين أعانونا وساعدونا على إتمام هذا العمل توجيها وتشجيعا، ونخصّ بالذكر الأستاذة المشرفة" حياة هروال" التي تفضّلت بقبول الإشراف على هذا البحث ومتابعة مراحله، والتي أمدتنا بنصائحها وتوجيهاتها.

مدخل إلى السيرة الذاتية

مدخل إلى السيرة الذاتية

أولا :مفهوم السيرة الذاتية:

تعدّ السيرة الذاتية جنس أدبي قائم الذات، حديث النشأة مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى مثل :الملحمة، القصة، الرواية الشخصية، ...إلّا أنّها اليوم أصبحت لها مكانة من حيث أهميتها وتطورها واتساعها، وذلك لتعبيرها عن القضايا الإنسانية الذاتية الفردية وتشخيص قيم الفرد وبيان سلبياته وإيجابياته، وكذلك دليلا مرشدا قيّما للأخلاق والعادات السائدة في العصور والمجتمعات التي نشأت فيها، ونظرا لكونها تتخذ عدة أشكال جمالية بحسب المواضيع التي تتطرق لها. فاختلاف أشكالها يولّد أنواع مختلفة حسب الموضوع الذي تعالجه، وما يقدمه الكاتب من اعترافات، وحوادث، وأخبار، وذكريات طفولة وشباب، ورحلات أحيانا...، وبسبب تعدد أنواعها واختلافها كان من الواجب الوقوف عند معانيها اللغوية والاصطلاحية.

أ–لغة:

لقد اهتم الباحثون والدّارسون بمحاولة ضبط مفهوم السيرة من الناحية اللغوية، حيث تعددت التعريفات واختلفت وجهات النظر حولها .بالعودة إلى المعاجم اللغوية من أجل الحصول على معنى السيرة ، فقد جاءت في "لسان العرب لابن منظور "على النحو الآتي: «والسّيرة: الضرب من السّير. والسّيرة :الكثير السير؛ هذه عن ابن جني. والسيرة :السّنة، وقد سارت وسرتها، ...والسيرة :الطريقة .يقال :سار بهم سيرة حسنة .والسيرة :الهيئة .وفي التنزيل العزيز:(سنعيدها سيرتها الأولى). وسير سيرة :حدّث أحاديث الأوائل... »[1].

كما وردت السيرة في" معجم الوسيط " بمعنى:

«السّيرة:السنة، والطريقة. والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره .والسيرة النبوية وكتب السّير :مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات وغيرُ ذلك .ويقال :قرأت سيرةَ فلان :تاريخ حياته (ج)سِيَرٌ»[2] .

[1]ابن منظور: لسان العرب، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1،المجلد3، 2005،ص364.

[2]المعجم الوسيط ،مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ،ط4،ص467.

من خلال هذه التعريفات للسيرة أنّها جاءت بمعنى السنة، والطريقة، والهيئة، كما توسعت معنى لفظة سيرة لتشمل التاريخ وحياة الأشخاص.

ب–اصطلاحا:

وبالقدر الذي تبدو فيه السيرة الذاتية معروفة وواضحة المعالم فإنّ تعريفها ليس بالأمر الهين، وذلك نظرا لحداثتها، وأيضا كونها ليست مجالا ضيقا أو محدودا؛ بل نوعا يدفع إلى الانفتاح على مجالات أخرى"علم النفس، والسياسة، والأنثروبولوجيا، والتاريخ."[1]

إضافة إلى ذلك صعوبة الوقوف على مصدر أصلي قد يشكل بداية منطقية لنوع السيرة الذاتية،" فميخائيل باختين"« يرجع أصوله البعيدة إلى العصور القديمة التي لم تنتج رواية بيوغرافية ولا أعمالا سيرية كبرى تستحق هذا الاسم حسب مصطلحاتنا وتصنيفاتنا النقدية الحديثة »[2].

وبالرغم من صعوبة تعريف السيرة الذاتية، فإنّنا نحاول تعريفها باستعراض بعض التعاريف التي أوردها بعض الدارسين والنقاد؛ الذين حاولوا إعطاء مفهوم لها والذي سنورده فيما يلي:

يعرّف الناقد الفرنسي"فليب لوجون "جنس السيرة الذاتية، بقوله :«حكي استعادي نثري، يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة.» [3].

نلاحظ من خلال هذا التعريف أن السيرة الذاتية تتميز بما يلي:

1–سرد نثري لوقائع شخصية معينة؛ أولا كذات عاشت، وثانيا كذات كتبت.

2 –التأريخ للذات من خلال التعبير عن الوجود الخاص.

3–ارتباط السيرة الذاتية بالفرد وتقييم معمارها على أساسه.

---

[1] ينظر:محمود عبد الغني محمد:فن الذات (دراسة في السيرة الذاتية لابن خلدون) ،دار أزمنة ، عمان ،ط1 ،2006 ،ص41.

[2] المرجع نفسه ، ص20 .

[3] فيليب لوجون : السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)،تر:عمر حلي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1994 ،ص22 .

ويؤكد"فيليب لوجون "أن تعريفه السيرة الذاتية يعرض عناصر تنتمي إلى أربعة أصناف مختلفة:[1]

1-"شكل اللغة:

أ-حكي.

ب-نثري.

2 -الموضوع المطروق :حياة فردية، وتاريخ شخصية معينة.

3-وضعية المؤلف :تطابق المؤلف(الذي يحيل اسمه إلى شخصية واقعية) والسارد.

4-وضعية السارد :

أ- تطابق السارد والشخصية الرئيسية.

ب- منظور إستعادي للحكي."

وعليه السيرة الذاتية هي كل عمل يجمع في الوقت نفسه الشروط المشار إليها في كل صنف من هذه الأصناف .في حين الأنواع المشابه للسيرة الذاتية لا تجمع كل تلك الشروط، وهذه لائحة للشروط غير المحققة حسب الأنواع: [2]

- "المذكرات "تفتقر إلى صنف تطابق السارد والشخصية الرئيسية.
- تفتقر" الرواية الشخصية "إلى صنف وضعية المؤلف.
- تفتقر" قصيدة السيرة الذاتية "إلى شرط النثر.
- تفتقر" اليوميات "الخاصة إلى شرط المنظور الإستعادي للحكي.
- "الرسم الذاتي "أو" المقالة "لا يتحقق فيها شرط الحكي، ولا تحتوي على شرط المنظور الإستعادي للحكي .

[1] فيليب لوجون: السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي) ، المرجع السابق ،ص22 ، 23 .
[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص23 ،24 .

ويؤكد ناقد آخر هذا التعريف بقوله: «هي نص سردي يتميز عن الرواية المروية بضمير المتكلم بأنّه لا يقدّم متخيّلا وهميا بل يعرض الأحداث الحقيقية التي وقعت للراوي /الكاتب .ولاشك في أن الصورة التي تقدمها السيرة الذاتية قد تختلف عن حياة الراوي في الواقع، إمّا بسبب عجز الذاكرة عن إعادة تكوين الحدث الماضي، وإمّا بسبب الرغبة في تجميل الحقيقة أو تعتيمها ...والسيرة تقدم كشفا عن حياة مكتملة تقريبا، عن فترة الطفولة أو الشباب أو نشاط ظاهر الأهمية في حياة فرد... » [1] .

يبيّن لنا هذا القول، الفرق بين جنس السيرة الذاتية وجنس الرواية باعتبارها تحدد بضمير المتكلم والتي تتجه نحو الخيال على عكس السيرة الذاتية التي يعبر من خلالها الكاتب عن حياته الواقعية في أسلوب أدبي.

وهذا تأكيدا لما ذهب إليه الناقد الفرنسي "فيليب لوجون "الذي حاول أن يقدّم الفرق بين جنس السيرة الذاتية والأجناس الأدبية الأخرى.

ويعرّفها أيضا "إحسان عباس "الذي يعدّ من النقاد الذين اهتموا بفنّ السيرة الذاتية وذلك من خلال كتابته (فن السيرة)، بقوله : « إن السيرة فنٌ لا بمقدار صلتها بالخيال، وإنما لأنها تقوم على خطة أو رسم أو بناء، وعلى ذلك فهي ليست من الأدب المستمد من الخيال، بل هي أدب تفسيري، وهذا النوع من الأدب كالأدب الذي يخلق خلقا، من حيث أن صاحبه معنيّ بغاية محدودة تهديه في اختياره وترتيبه للحقائق،...» . [2]

يتضّح من خلال هذا القول، أنّ الناقد "إحسان عباس "حاول أن يقدم، تعريفا وجيزا للسيرة الذاتية، باعتبارها فنا يعبر من خلاله الشخص عن حياته؛ وذلك بإعادة خلق جديد لماضي هذا الشخص أو مؤلفها في صورة تعتمد على الحقائق التاريخية.

نخلص من خلال التعريفات السابقة إلى القول، بأنّ السيرة الذاتية، لا تخرج في معناها عن كونها تعبر عن قصة حياة شخص ما، كتبها بنفسه مراعيا فيها أسلوب الفن الأدبي في نقل الأحداث والوقائع، إضافة إلى ذلك

[1] لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي ،انجليزي ، فرنسي) ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ،ط1 ، 2002 ، ص111 .
[2] إحسان عباس : فن السيرة ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ،1996 ، ص84 ، 85.

روعة التعبير الأدبي، وحسن التناسق، وجودة الصياغة الفنية، من أجل تحقيق الجمالية الفنية، وترك متعة لدى القارئ، وهنا كان لا بدّ من الإشارة إلى أنّ جنس السيرة الذاتية يتداخل مع العديد من الأجناس الأخرى من بينها جنس الرواية، وهذا التمازج الحاصل بين الجنسين كان سببا في ظهور أجناس أدبية أخرى من جهة، ومن جهة أخرى دفع بالنقاد والدارسين إلى تحديد مفهوم السيرة الذاتية، وذلك من أجل التمييز بينهما.

ثانيا :نشأة وتطور السيرة الذاتية:

بالرغم من أنّ فنّ السيّر (التراجم) من أقدم الأجناس والفنون الأدبية نشأة، إلّا أنّ جنس السيرة الذاتية لم يتحقق إلّا في العصر الحديث؛ فهي كغيرها من الأجناس الأدبية الأخرى لها إرهاصات سابقة لظهورها كفن قائم بذاته، وجنسا أدبيا مستقلا يتميز بوجوده وشكله الخاص في الأدب الغربي والعربي.

أ–عند الغرب:

إذا بحثنا في نشأة السيرة الذاتية لدى الغرب فإنّنا سنجد ملامحها الأولى تعود إلى التراث اليوناني والروماني على يد شخصين يونانيين هما:"ثيوفراستوس"(372–288 ق.م)، و"بلوتارك"(122–48 ق.م)، غير أنهما اهتما بالأنماط العامة أكثر من اهتمامهما بالصفة الشخصية . وكان ظهور السيرة في الأدب الإنجليزي بداية من عام[1] 1579، «وكان أول هذه السير موقوفا على حياة القديسين ...ومن هذه السير ماكتبه" ألفرك "(ALiFriG)من سيرة " أزوالد "والقديس "أدمون"، وكانت هذه الكتابات هي بداية الكتابة الجادة في فن السير والتراجم في الأدب الإنجليزي » [2] .

كما شهد القرن التاسع عشر ظهور نماذج لفن السيرة الذاتية في العديد من البلدان :غوته في ألمانيا، وجان جاك روسو في فرنسا، وزذرورث في إنجلترا، وثورو في أمريكا وغيرهم.[3]

[1] ينظر : شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ،ط1 ، 2009 ، ص32

[2] المرجع نفسه ، ص32 .

[3] عبد العزيز شرف : أدب السيرة الذاتية ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع ، القاهرة ،د.ط ،1992 ،ص29 .

أمّا أشهر التراجم الذاتية في العصور الوسطى، اعترافات القديس أوغسطين، التي تعتبر قمة الاعترافات الدينية، وقد حذا حذوها من كتب بعده، وهي تذكر بما احتوته من صراحة وصدق، وقدرة على الاستبطان والتعري النفسي والأصالة.[1]

ولا يفوتنا أن ننبه إلى شيء؛ وهو أنّ السيرة الذاتية في العصور الوسطى قد اتخذت صورا عدّة كالمذكرات، واليوميات، والاعترافات... ونذكر على سبيل المثال :مذكرة " جميس ميلفل (1618) "،يوميات" بلستررود " (1685)، اعترافات" جون نيوتن."[2]

وفي مطلع القرن العشرين داع صيتها، وذلك لانتشار المبادئ الرومانسية واهتمامه بالفرد وأحاسيسه، وتميزت هذه السير بالجرأة والصراحة، المتمثلة في كشف العديد من الكتاب عن علاقاتهم الشخصية دون حرج، مثل: " جان جاك روسو "الذي يعترف بالسرقة و علاقاته غير الشرعية مع النساء المتزوجات .ومن أشهر السّير الذاتية في الأدب الإنجليزي والأدب الفرنسي في القرن العشرين، ترجمة "وليم بتلرييتس"(yeats) (ت 1937)، واعترافات"روسو "وكتاب صديقي"لأناتول فرانس."[3]

ممّا سبق يمكن القول، أنّ السيرة الذاتية عند الغرب كانت تمثل المتنفس الوحيد الذي يعبر من خلالها الكتاب والأدباء عن حياتهم الشخصية بكل حرية وطلاقة، بالإضافة إلى تحقيقها للشهرة التي يحلم بها هؤلاء، وذلك باعتبارها أقرب الفنون إلى نفوسهم.

ب–عند العرب :

كان فن السيرة الذاتية من الأجناس الأدبية التي عرفت في الأدب العربي، منذ عصوره القديمة، وذلك باعتبارها أكثر إثارة وتشويقا لدى القارئ لما تتمتع به من خصوبة وتميز في أساليب الكتابة والتصوير الفني والمعالجة

[1] يحي إبراهيم عبد الدايم : الترجمة الذاتية في الأ العربي الحديث ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، د.ط ، ص13 .
[2] ينظر : شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (رؤية نقدية)، المرجع السابق ، ص33 .
[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص33 ،34 .

اللغوية وطرح الموضوع، من أجل بلوغ الغاية المرجوّة، فالمتتبع لجذور فن السيرة في التراث الأدبي القديم فإنه يجد لها حضور قويّ في كتاباتهم حتى وإن كانت لا تسمى" سيرة "بالمصطلح الدقيق الذي نعرفه اليوم، وهذا ما أشار إليه"محمد عبد الغني حسن "في كتابه "التراجم والسير "بقوله :«وأخذت التراجم تظهر منذ القرن الثاني للهجرة، ثم أخذت على توالي العصور تكثر أنواعها، ويتضخم عددها، حتى بلغت من الكثرة في التراث العربي حدا لم تبلغه في أيّ تراث لأمة أخرى معروفة التاريخ في القديم والحديث»[1] .

وقد عرف العرب صورا مختلفة لفن السيرة، فكان أول ما عرفوه هو السيرة النبوية والتي تناولت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتأريخ لأفعاله ولأقواله ومغازيه ، إضافة إلى سيرة" ابن إسحاق "(المتوفى سنة151م) ،ومن هذا المنطلق فإن فن السيرة بمعنى "التأريخ للأفراد"، ثم تطور استعمالها في عصور متوالية، فجاءت بمعنى حياة الشخص بصفة عامة [2].

ومن الذين رأوا أنّ بذور السيرة الذاتية نشأت عند العرب في الجاهلية" كارل بروكلمان "الذي يقول :«كان عرب الجاهلية يفخرون بذكر مآثر أسلافهم وأيامهم وأنسابهم، وكان سمرهم يجري على رواية أيامهم ».[3]

وبذلك فقد كان يصلنا الكثرة من الشعر لأن الشاعر الجاهلي أطنب في الحديث عن نفسه، ووصف مشاعره وعبر عمّا يجول بداخله من أحاسيس في شكل قصائد شعرية .على خلاف النصوص النثرية التي لم تصل إلّا القليل منها لأن الكتابة كانت قليلة في ذلك العصر.

وقد بدأت السيرة الذاتية الأدبية بالظهور في" العصر الإسلامي حينما كتب" سليمان الفارسي" (57هـ-656م)، سيرة رواها عن نفسه والتي تحدث فيها عن نسبه، وحب والده له وخوفه عليه، أمّا في العصر الأموي، فنجد سيرة الشاعر الأموي" نصيب "وقد اهتم بالحديث عن إتقانه للشعر وما جرّ عليه ذلك الأمر من حسد

[1] محمد عبد الغني حسن : التراجم والسير (فنون الأدب العربي ، الفن القصصي) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، 1919 ، ص11 .
[2] ينظر : يحي إبراهيم عبد الدايم : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص31 .
[3] تهاني عبد الفتاح شاكر : السيرة الذاتية في الأدب العربي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2002 ، ص 38 .

بعض الشعراء له، مثل:"الفرزدق "و"أيمن بن ضريم ."وقد ذكر" نصيب "أن الشعر لم يأت له إلّا بما هو خير .ومن السيّر الذي اشتمل عليها كتاب الأغاني، سيرة" إبراهيم الموصلي"(111هـ) ،فهي عبارة عن مجموعة من قطع السير الذاتية المتناثرة، كما نجد كتاب" عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصبعية "الذي ورد فيه مجموعة من السير الذاتية نذكر منها :سيرة حنين ابن إسحاق ،وسيرة ابن الهيثم (سيرة فلسفية)، وأجزاء من سيرة ابن سينا، وسيرة علي بن رضوان، وعبد اللطيف البغدادي".[1]

ومن خلال ما تمّ ذكره من هذه القطع من السّير الذاتية ، وإن لم تكن سيرا تامة ،فإنّها تشكل بذور خصبة لفن السيرة الذاتية التي تعد أسلوبا أدبيا مفعما بالحيوية.

في حين نجد "شوقي ضيف"، يؤكد أن بدايات السيرة الذاتية كانت لأمم قبل العرب فيقول في هذا الشأن: «لعل أقدم صورة للترجمة الشخصية تلك الكلمات التي يناقشها القدماء على شواهد قبورهم، فيعرّفون بأنفسهم، وقد يذكرون بعض أعمالهم، واشتهر المصريون في عصر الفراعنة بكثرة ما نقشوا على قبورهم وأهرماتهم ....،ومع مرّ التاريخ نشأ المؤرخون ونشأت طبقات من المفكرين والفلاسفة، وأودعت كتاباتها كثيرا من حياتها وأحوالها وتجاربها، وكان من أهم ما قرأ له العرب فصولا طويلة في ذلك" جالينوس "الفيلسوف الطبيب اليوناني المشهور» [2].

وهنا نرى أن" شوقي ضيف "يؤكد أن بدايات السيرة الذاتية كانت لغير العرب، فهو يرجعها إلى الكلمات المنقوشة على قبورهم من قبل القدماء، فهم يقومون بنقش أسمائهم وأعمالهم ونقاط مهمة عن حياتهم ومثال ذلك :الفرس واليونان .

من خلال ما تمّ ذكره سابقا ،فإنّ بذور السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم، لم تقتصر على هذه القطع المتناثرة في بعض الكتب بل تجاوزتها إلى رسائل ،ومن هذه الرسائل نذكر:«رسالة محمد بن زكريا الرازي (313هـ) ... ، ورسالة أبي حيان التوحيدي (414هـ)، الصداقة والصديق، ...ونجد أيضا رسالة :"لفتة الكبد

[1] ينظر: تهاني عبد الفتاح شاكر : السيرة الذاتية في الأدب العربي ، المرجع السابق،ص38 _43 .

[2] شوقي ضيف: الترجمة الشخصية ، دار المعارف ، ط4 ، 1987 ، ص8 .

إلى نصيحة الولد "لابن الجوزي" (598هـ)، لتنتهي بذور السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم وهي سيرة" ابن خلدون" (808هـ) الموسومةبـ "التعريف لابن خلدون"....»[1].

يتبين من خلال ما تقدّم ،أنّ العرب في القديم كانوا يخلطون بين السيرة الذاتية والأنواع المشابهة لها كالرسائل .وأنّ كتابة السيرة الذاتية تعد جزءً لا يتجزأ من التاريخ، فكاتبها بمثابة المؤرخ والمبدع في آن واحد، ولئن افتقدت هذه النماذج لأهم العناصر الفنية المكونة لفن السيرة، فإنّها تشكل الإرهاصات الأولى لنشوء فن السيرة وتطورها في الأدب العربي.

ج–السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث:

إذا ما تطرقنا إلى الحديث عن السيرة الذاتية في العصر الحديث، فإنّنا سنجد تطورا عظيما في أنماط هذا النوع الأدبي، ولم يقف بذلك وقفة جمود، وذلك ناتج عن حركة التأثر المباشر بالأدب العربي في مطلع القرن التاسع عشر، فقد «تأثر كتاب التراجم العربية اليوم بطرائق الغربيين ومذاهبهم في التحليل، وتجلية العوامل النفسية والبيئية، ودراسة عصر المترجم له دراسة يتجلى فيها مدى الاستجابة بين الرجل وظروف زمانه،...، وراح جماعة من الأدباء المحدثين يكتبون سير الراحلين من رحالات المسلمين والعرب على نهج جديد» [2] .

ولم يبرز في هذه الفترة من السير والتراجم الشخصية إلاّ فيما يبدو من« ترجمة علي باشا مبارك لنفسه في كتابه الخطط التوفيقية ...والسيرة التي كتبها عبد الله النديم لنفسه في كتابه(كان ويكون)...، كما تشير أيضا إلى حفنة من كتب التراجم الذاتية كتبها أدباء وشعراء وأطباء من أهل عصرنا، ومنها " الأيام لطه حسين "،"وحياتي لأحمد أمين "وقصة" حياة لإبراهيم عبد القادر المازني"، و"سبعون في أجزائه الثلاثة الضخام لميخائيل نعيمة"، و"أنا لعباس محمود العقاد"، و"قال الراوي "للشاعر المهجري إلياس فرحات...» [3].

---

[1] تهاني عبد الفتاح شاكر : السيرة الذاتية في الأدب العربي ،المرجع السابق، ص45 ،46 .

[2] محمد عبد الغني حسن : التراجم والسير ، المرجع السابق ، ص7 .

[3] المرجع نفسه ، ص26 ،27 .

ومع مطلع القرن العشرين « شهدت الساحة العربية أحداثا وإضرابات وأطماعا استعمارية، كفيلة باستثارة وعي الإنسان بذاته، مما ساعد على نموّ الشعور بالذات، والإحساس بالفردية التي حثّت الأديب على كتابة سيرته الذاتية، لذلك أنتج القرن العشرون للأدب العربي الكثير من السير الذاتية، التي شاعت كتابتها في مختلف الأقطار العربية» [1].

وفي هذا الصدد يتحدث" شوقي ضيف "في" كتابه الترجمة الشخصية "قائلا : «ونمضي في القرن العشرين، فنجد كثيرين يترجمون لأنفسهم لا في مصر وحدها، بل في بلدان العالم العربي المختلفة ومن أشهر من كتبوا حياتهم محمد كردّ على أديب سوريا، وعالمها، فقد ترجم لنفسه في نهاية الجزء السادس من كتابه خطط الشام».[2]

بناءا على ما سبق نستنتج ،أنّ فن السيرة الذاتية من الفنون الأدبية التي عرفها العرب منذ القدم، كما أنّها شهدت تطورا ملحوظا في العصر الحديث من خلال تنوع أنماط الكتابة، والقوالب الفنية والمضامين الفكرية.

ثالثا :أنواع السيرة الذاتية:

تنقسم السيرة حسب أنماطها إلى قسمين :السيرة الغيرية هي شكل من أشكال السيرة، « وفيه يتطوّع الراوي السيري الغيري لرواية حياة إبداعية في مجال حيوي ومعرفي معين، لشخصية منتخبة يعتقد بأهميتها وضرورتها...، فيذهب إلى قراءة الشخصية قراءة مستفيضة وحشدكل ما هو ممكن من معلومات حولها،...» [3] . والسيرة الذاتية (تمّ التطرق لها سابقا)؛ وهذه الأخيرة بدورها تتخذ عدة أشكال نذكر منها :اليوميات، الاعترافات، المذكرات،....

[1] تهاني عبد الفتاح شاكر : السيرة الذاتية في الأدب العربي ، المرجع السابق ، ص74 .

[2] شوقي ضيف : الترجمة الشخصية ، المرجع السابق ، ص110 .

[3] محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية (قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية) ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2007 ، ص120 .

1-"اليوميات :هي سرد حدث أو مجموعة أحداث خاضعة للزمن، فيكون الكاتب مقيّدا بتسجيل تفاصيل حدث كل يوم، بحسب حيثياته الزمكانية والنفسية والاجتماعية، فتكون قصيرة أو متوسطة الطول أو طويلة.

2-الاعترافات :هي سرد نثري إستعادي، لحياة شخصية معينة، بأسلوب اعترافي صريح وجريء، والغوص إلى أعماق تلك الشخصية وكشف كل خباياها وخفاياها، والجوانب المسكوت عنها؛ من سلبيات وأخطاء وخطايا، بغض النظر عن المجتمع وقيمه وأخلاقه.

3-المذكرات :حكي استرجاعي، يكون للراوي أكثر حرية في سرد، وكتابة الأحداث سواء بالزيادة أو النقصان بحسب عملية الاسترجاع، وميوله لموضوعات على حساب موضوعات أخرى، فتكون قصيرة، ومزاوجته بين حياته الشخصية وقضايا وموضوعات وأحداث أخرى"[1].

مما سبق يمكن القول ،أنّ اختلاف السيرة الذاتية باعتبارها فنا مستحدثا، يرجع إلى تعدد موضوعاتها ومضامينها، فظهرت لها أشكال فنية مختلفة ،كاليوميات والمذكرات. ...

رابعا :خصائص السيرة الذاتية:

لكل جنس أدبي خصائصه ومميزاته التي تميزه عن غيره، من الأجناس وآليات تدفعنا إلى تحديده كنوع أدبي، فنجد السيرة الذاتية أكثر الأشكال الفنية قربا من الرواية خاصة من حيث البناء الفني، فهناك تداخل كبير بينهما.

إنّ التداخل والتمازج بين الجنسين شكّل لنا قالبا روائيا اصطلح عليه" فيليب لوجون "برواية" السيرة الذاتية" وقد حددها ببعض الخصائص والمميزات هي:[2]

- أنّ ما ميّز النصوص التي تدخل في صنف رواية السيرة الذاتية هي التي تتضمن عنصر التخييل.

[1] ينظر : محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية ، المرجع السابق ، ص130_133 .

[2] ينظر : فيليب لوجون : السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي) ، المرجع السابق ،ص37 .

- يشترط هذا الفن التطابق بين المؤلف والشخصية، في حين أن المؤلف اختار أن ينكر هذا التطابق، أو على الأقل اختار أن لا يؤكده.
- تشمل رواية السيرة الذاتية روايات شخصية (تطابق السارد والشخصية)التي يكون فيها السارد هو نفسه الشخصية الرئيسية.
- تشتمل أيضا رواية السيرة الذاتية على روايات لا شخصية أي شخصيات مشار إليها بضمير الغائب، إنها تحدد على مستوى مضمونها وخلافا للسيرة الذاتية فإنها تحتوي درجات، أمّا السيرة الذاتية فلا تحتوي درجات، إنها كل شيء أو لاشيء.
- إن كاتب رواية السيرة الذاتية يكون مقيد إذ تتحكم فيه شروط أثناء كتابته هذا العمل الأدبي ،فهي تشترط توفر على معيار نصي عام، هو تطابق الاسم بين المؤلف وسارد الشخصية.

وفي الأخير نستخلص، أنّ رواية السير الذاتية هي فن أدبي تعود لشخص بعينه وهذا الشخص هو كاتبها الفعلي، يسرد مرحلة من مراحل حياته بقلمه، منذ الوهلة الأولى حتى نهايته متحريا في ذلك الصدق في كل مايقوله، فمهما كان صادقا في سرد ووصف هذه الوقائع والأحداث التي وقعت في حياته، إلّا أنّ هذه الأحداث الواقعية التي ينقلها لنا ويسردها قد تكون نسبية كون أن الذاكرة معرضة للنسيان.

الفصل الأول:

تجليات الذاكرة والهوية في كتاب خارج المكان لإدوارد سعيد

المبحث الأول :جمالية السيرة الذاتية في خارج المكان لإدوارد سعيد:

إنّ المواظبة على تدوين كتابة السيرة الذاتية، يشكل الرغبة في بلوغ الحقيقة عبر الذاكرة، هذه الأخيرة التي يعرّفها "جويل كاندو "في كتابه " الذاكرة والهوية "بقوله:« الذاكرة هوية فاعلة ولكنها يمكنها، على العكس، أن تهدد الشعور بالهوية وتزرع فيه الاضطراب، بل أن تدمره، ...والواقع أن العمل الوظيفي للذاكرة التي تبني الهوية مصنوع بالضرورة من الذكريات...» [1] .

يحمل هذا القول إشارة صريحة على، أنّ الذاكرة مستودعا لتجاربنا وخبراتنا التي تمثل هويتنا عبر الزمن. وهذا ما نلمسه عند الناقد "إدوارد سعيد "في سيرته الذاتية "خارج المكان "الذي حاول من خلاله البحث عن هويته التي لطالما كانت غائبة معتمدا على الذاكرة؛ وتولّد عنده هذا الشعور باعتباره عاش في عالمين ووسطين مختلفين كل الاختلاف ممّا خلق لديه ما يسمى باضطراب الهوية، معترفا بذلك بقوله: «غير أن الغالب كان شعوري الدائم أني في غير مكاني» [2].وبناءا على ما سبق، يتبادر إلى أذهاننا عدة أسئلة جوهرية تتمثل فيما يلي:

لماذا يواظب بعض الأدباء والنقاد على تدوين وكتابة سيرهم الذاتية؟ هل من أجل الإحساس باستمرارية الذات الفردية؟ أم من أجل إثبات قيمة أن أكون نفسي؟ أم رغبة في إيقاف مرور الزمن ومنح صفة الديمومة؟ وكيف يكون كتّاب السيرة الذاتية؟ وما واجب هذا الكاتب؟ وإلى ماذا يسعى الكاتب للكشف عنه؟.

ومن جهة أخرى، فإننا لا نستطيع أن نمر دون أن نتساءل على ماذا استند " إدوارد سعيد "في كتابة سيرته؟ وما مدى تأثير الذاكرة أثناء كتابته السيرة الذاتية؟ وما موقع التأريخ الشخصي عند" إدوارد سعيد "بين الذاكرة والخيال؟ وما هي علاقة الذاكرة بالهوية عند "إدوارد سعيد"؟ وهل السيرة الذاتية العظيمة بالنسبة " لإدوارد سعيد "تكون خاصة أم عامة أم معا؟ ومنه ما هي أهم القضايا الفكرية والنقدية التي طرحها " إدوارد سعيد "في

[1] جويل كاندو: الذاكرة والهوية، تر: وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ط، 2009، ص13.

[2] إدوارد سعيد: خارج المكان، تر: فواز طرابلسي، دار اللآداب للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2000، ص25 .

سيرته؟ و ما مدى أهمية حضور عنصر الصدق في السيرة الذاتية كجنس أدبي عامة، وعند كاتب حرّ مثل "إدوارد سعيد "خاصة؟.

ومن ثمّ فإنّه يتوجب علينا طرح القضايا التي تناولها "إدوارد سعيد "في سيرته "خارج المكان"، الذي حاول من خلالها أن يعبّر عما عاشه من حياة منفى بين البيئة العربية والبيئة الأمريكية، مما ولد في داخله قلقا اتجاه هويته، وذلك تحت تأثير اشتغال الذاكرة، وهذا يظهر في قوله «...هو شعوري بامتلاك هوية مضطربة، أنا الأمريكي الذي يُبْطنُ هوية عربية أخرى لا أستمد منها أي قوة بل تورثني الخجل والانزعاج »[1]، يعاني" إدوارد سعيد "من أزمة خاصة متمثلة في هويته،مفصحا عن إحساسه بالالتباس،و الارتباك،و الألم،مما ولّد لديه نوعا من القلق و الخوف لوجوده بين هويتين (عربي الأصل،أمريكي الثقافة و الحياة)؛ وهو يحس بين الهويتين بالغربة .

أ–بين الاسم المركب وإزدواجية اللغة:

لقد برز" إدوارد سعيد "في العديد من التخصصات في عالم الفكر والفلسفة والنقد والأدب، وميادين أخرى، وذلك منذ صدور كتابة الإستشراق الذي صدر عام1978 ، الذي يعدّ صدى للعديد من المؤلفات والذي لقيّ إستجابة واسعة من طرف النقاد، وبعد ذلك صدور العديد من المؤلفات من بينها :الثقافة والإمبريالية، السلطة والسياسة والثقافة، خارج المكان،...

مما تقدم ذكره كان لابد أن نعرج أولا على بداية الإنطلاق في الحديث عن اسمه، باعتبار أن الاسم عادة ما يكون معبرا من المجهول إلى المعلوم، فهو الذي يعبر عن شخصية صاحبه، لكن اسما كاسم " إدوارد سعيد "يشذّ عن الأصل ويكسر كل القواعد بعد أن حمل اسمه صنفين متعارضين، حيث يحيل الأول (إدوارد) إلى الانتماء الغربي في حين ينطق الثاني (سعيد) بالانتماء العربي.

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر السابق، ص125 .

ولعلّ هذا ما دفع بالجميع، إلى التساؤل عن انتمائه :هل هو عربي (فلسطيني)أم أمريكي؟ ليكون بذلك اسم " إدوارد سعيد "إحالة إلى عالمين مختلفين تاريخيا وثقافيا وإيديولوجيا ...

هذا الأمر الذي أقلق " إدوارد "ويتضح من خلال قوله: «...وخلال سنوات من محاولتي المزاوجة بين اسمي الإنجليزي المفخم و شريكه العربي، كنت أتجاوز إدوارد وأؤكد على سعيد، تبعا للظروف، وأحيانا أفعل العكس، أو كنت أعمد إلى لفظ الاسمين معا بسرعة فائقة بحيث يختلط الأمر على السامع والأمر الوحيد الذي لم أكن أطيقه مع اضطراري لتحمله هو ردود الفعل المشككة والمدمرة التي كنت أتلقاها إدوارد سعيد؟.» [1].

وتأسيسا على ذلك فإن اسم" إدوارد سعيد "شكل على الأغلب تصدعا في الانتماء، ولعل هذا راجع إلى التعارض والتناقص في اسمه، كما أثر بشكل ملحوظ على حياته اليومية ويقول: «هكذا كان يلزمني قرابة خمسين سنة لكي أعتاد على" إدوارد" وأخفف من الحرج الذي يسببه لي هذا الاسم الانجليزي الأخرق الذي وضع كالنير على عاتق" سعيد "اسم العائلة العربي القح. صحيح أن أمي أبلغتني أني سميت إدوارد على اسم أمير بلاد الغال (وارث العرش البريطاني) الذي كان نجمه لامعا عام1935 وهو عام مولدي، وأن سعيد هو اسم عدد من العمومة وأبناء العم،غير أن تبرير تسميتي تهافت كليا عندما اكتشفت أن لا أجداد لي يحملون اسم سعيد» [2] .

يتّضح من خلال هذا القول، أنّ" إدوارد سعيد "يعبر بكل صدق عن انزعاجه من اسمه الإنجليزي وما كان يسبب له من قلق يمس مسألة الانتماء والوطن، مع علمه أنه لا يوجد من أجداده من يحمل هذا الاسم .ويوضح الناقد هذا الأمر بقوله :«...واكتشفت أني أمام خيارين أجابه بهما أسئلة أو ملاحظات شكلت بالفعل سياق تحدو اعتراف وهتك، من نوع" ما أنت." لكن سعيد اسم عربي... " "هل أنت أمريكي"، تقول إنك أمريكي مع أن اسمك ليس أمريكيا وأنت لم تزر أمريكا قط . لا يبدو شكلك أمريكيا...» [3] .

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر السابق، ص25، 26 .
[2] المصدر نفسه، ص25 .
[3] المصدر نفسه، ص28 .

بالرغم من كل الأسئلة التي كانت تلاحق" إدوارد سعيد "أين ما ذهب وارتحل بخصوص اسمه، إلا أنه لم يستطع أن يحل الشّيفرة المتعلقة بهذا الاسم مما أحدث تشققات وتصدعات بخصوص أصله فيقول :«... لم أكتشف إلى الآن من أين جاء اسم" سعيد "ولم يستطع أحد أن يحل لي هذا اللغز..» [1].

أمّا فيما يخص اللغة باعتبارها عنصرا مهما من عناصر أي ثقافة، وعامل انسجام لأيّ منظومة اجتماعية، والتي تعتمد على وظيفة التواصل والحوار فلكل كاتب لغة يتميز بها عن باقي الكتاب باعتبارها أداة للتواصل بين الأجيال، ومن هذا المنطلق تكون اللغة كما قال" أحمد برقاوي" :«من أهم مقومات تعين الهوية إذ أن الشعور بالانتماء يضعف أو يزول من دون اللغة » [2].

فاللغة حسب تعبيره ذات أهمية كبيرة في الحفاظ على هوية الأمة ومشاعرها ونمط تفكيرها ،كما تعبر في الوقت ذاته عن ثقافة الشعب وحضارته وهذا ما نلمسه عند" إدوارد سعيد "في كتابه (خارج المكان) الذي يروي سيرة حياته الذاتية، معتمدا على اللغة الإنجليزية الذي كان يجيدها منذ صغره وهذا واضح من قوله: «وما إن أدركت تماما أني أجيد الإنجليزية بطلاقة معا دون أن يعني ذلك أني كنت أتكلمها دوما على نحو سليم، حتى صرت أشير إلى نفسي لصفتي" هو "بدلا من " أنا" ».[3]

فبالرغم من إتقان" إدوارد سعيد " للغة الإنجليزية إلاّ أنه كان يجيد اللغة العربية مما خلق له ازدواجية في اللغة (العربية والإنجليزية)اللتان كانتا موجودتين منذ طفولته، دون أن يعلم أو يستطيع أن يحدد أيّ هي لغته الأم، فيقول: «ما أعرفه هو أن اللغتين كانتا موجودتين دوما في حياتي، الواحدة منهما ترجع صدى الأخرى وتستطيع

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر السابق ،ص29 .

[2] أحمد برقاوي نقلا عن عهد كمال شلفين: الهوية العربية (صراع فكري وأزمة واقع) دراسة في الفكر العربي المعاصر، الهيئة العامة السعودية للكتاب، دمشق، د.ط، 2015، ص47.

[3] إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر نفسه، ص27 .

كل منهما ادعاء الأولوية المطلقة، من دون أن تكون هي أمي التي أذكر أنها كانت تحدثني بالإنجليزية والعربية معا..» [1].

والملاحظ على ازدواجية اللغة عند"إدوارد سعيد "أنّها أصبحت عائقا معرفيا، ذلك أنّه حاول نقل تجاربه من اللغة الإنجليزية إلى لغة أخرى فيقول: «وأكثر إثارة بالنسبة إلي ككاتب هو إحساسي بأنني أحاول دائما ترجمة التجارب التي عشتها لا في بيئة نائية فحسب، وإنما أيضا في لغة مختلفة ذلك أن كلا منا يعيش حياته في لغة معينة بالذات .والانفصام الكبير في حياتي هو ذلك الانفصام بين اللغة العربية لغتي الأم، وبين اللغة الإنجليزي» [2]

يتضح مما سبق مدى أهمية اللغة عند" إدوارد سعيد"، وكيف كانت مصاحبة له منذ مسيرته الذاتية، وكيف عزّزت الصلة بينه وبين اللغة –الأم.

لما تم إدراج اللغة الإنجليزية في التعليم باعتبارها أنجح الوسائل المتبعة وأشد أنواع الإبادة الثقافية، وبهذا يكون المستعمر قد نجح في فرض هيمنته وإدراجها في مناهج تعليم مستعمراتها وبهذا يكون قد طمس اللغة العربية، وفي هذا الصدد يقول "إدوارد سعيد":«فجأة حوّلنا كراس صغير بعنوان دليل المدرسة إلى سكان أصليين، تقول القاعدة رقم واحد فيه: الإنجليزية هي لغة المدرسة .كل من يقبض عليه متكلما لغات أخرى يتعرض لعقاب صارم، فصارت العربية ملاذنا ،لغة مجرمة نلجأ إليها من عالم الأسياد ومساعدي الأستاذة المتواطئين ومن زملائنا المتأنجليزين الأكبر سنا... » [3].

كما نجد أنّ الناقد " إدوارد سعيد "يعبر عن حالته وكيفية تلقيه التعليم بقوله :«فقد تلقيت كامل تعليمي في مدارس كولونيالية بريطانية في فلسطين ومصر، حيث تركزت الدراسة برمتها على تاريخ المجتمع الإنجليزي،

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص26 .
[2] المصدر نفسه ، ص21 ،22 .
[3] المصدر نفسه، ص231 .

وأدبه، وقيمه وهذا ما كان يجري في معظم المستعمرات البريطانية والفرنسية الأساسية[1]».فهو هنا يصرح بأنّ تعليمه في (فلسطين ومصر)كان معظمه في مدارس كولونيالية، تركز على الثقافة الإنجليزية،و هذا ينطبق أيضا على مستعمرات بريطانيا و فرنسا.

ب –إدوارد سعيد بين تاريخة العائلي ومساره التعليمي:

ركز" إدوارد سعيد "على تاريخه العائلي نظرا لكون الشجرة العائلية مصدرا لبيان الأصل والنسب؛ فنجده يتحدث على علاقته بأمه التي كانت أفضل من والده من حيث اللغة و الإحساس، لكونها تتقن اللغة العربية والإنجليزية بقوله:« لم أكن أعرف من أين جاءت أمي بلغتها الإنجليزية، أو أي شيء عن هويتها القومية ... وحقيقة الأمر أن أمي كانت متمكنة على نحو ممتاز من اللغة العربية الفصحى.. .» [2] .

فكانت الأم بالنسبة له المأوى الذي يلجأ إليه من أجل الحصول على المحبة والحنان بقوله:« وفر لي دفئ أمي السائغ الفرصة النادرة لأكون الشخص الذي كنت أشعر حقيقة أنني إياه،...» .[3] يبيّن" إدوارد سعيد "من خلال هذا القول ،أن أمه تمثل بؤرة الحب والحنان التي يستمد منها قوّته وثقته بنفسه، إضافة إلى تعزيز شعور الأنا لديه.

وخاصة أن علاقته بشقيقاته الأصغر منه سنا (روزماري، وجين، وجويس، وغريس)غير مرضية بقوله:« على أننا لم نتعانق مرة كما هي عادة الأشقاء والشقيقات .فعلى مستوى ما دون الوعي هذا، كنت أشعر بانكماش متبادل، مني تجاههن ومنهن تجاهي... » [4].

[1] إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى، تر: ثائر ديب، دار الآداب، بيروت ،ط1، 2004، ص232 .
[2] إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر السابق، ص27 .
[3] المصدر نفسه، ص86 .
[4] المصدر نفسه، ص89 .

إضافة إلى أنه كان محروما من الأصدقاء، أمّا صراعه مع والده الذي كان ذو طبع يتميز بالقسوة والصرامة والصعوبة بقوله:« لم يترك لي نظام الضبط والتربية المنزلية الجامد الصارم، الذي حبسني فيه أبي منذ سن التاسعة، أي متنفس أو أي مجال للإحساس بالذات فيما يتجاوز قواعده وترسيماته» [1].

ويضيف قائلا:«هكذا أصبحت " إدوارد "مخلوق والدي، تراقبه في عذاباته اليومية ذات داخلية مختلفة عنه... ».[2]

وهذا في الحقيقة ولّد لدى "إدوارد سعيد "عقدة الخوف الذي حاول التغلب عليه معظم حياته، فلم يكن يشعره بكينونته ودعمه، وعدم تلبية حاجياته دون محاسبة .مما خلق حاجزا بينهما إلا أن" إدوارد "حاول وضع جسرا لتخطي ذلك، لقوله :«وقد ظللت أنادي أبي" دادي "Daddy إلى حين وفاته على أني كنت أشعر دائما أنها تسمية عرضية وأتساءل ما إذا كان يجوز أصلا أن أعتبر نفسي ابنه» [3].

ليقرر"سعيد "بعد مرور شهر على تشخيص المرض الخبيث، كتابة رسالة إلى أمه المتوفاة قبل سنة ونصف السنة، بقوله:« بعد مضيّ شهرا على ذلك التشخيص، وجدتني أكتب رسالة إلى أمي المتوفاة منذ سنة ونصف السنة». [4]

حاول " إدوارد سعيد "التواصل عبر رسالة روحانية مع أمه التي كانت بالنسبة له العزاء الوحيد لحزنه ووحدانيته.

كما لا يقل تكوينه التعليمي أهمية من تاريخه العائلي، فكان من بين المدارس التي ارتادها في بداية مشواره التعليمي مدرسة" الجزيرة الإعدادية "بقوله:« درست في مدرسة الجزيرة الإعدادية من خريف 1941 إلى حين مغادرتنا القاهرة... » [5].

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر السابق ، ص42 ،43 .
[2] المصدر نفسه ،ص43 .
[3] المصدر نفسه ، ص42 .
[4] المصدر نفسه، ص268 .
[5] المصدر نفسه، ص63 .

هذه المدرسة التي كان يديرها طاقم إنجليزي، ولم يكن فيها أيّ عربي مسلم، أمّا التلامذة فكانوا من جنسيات مختلفة« في تلك الأيام لم يكن في المدرسة أي أستاذ مصري، كما لم أع أي حضور عربي مسلم : فالتلامذة أرمن ويونانيون ويهود مصريون وأقباط، إضافة إلى عدد غير قليل من أولاد الإنكليز، بمن فيهم كثرة من أبناء الأسرة التعليمية » [1].

أمّا أجمل ذكرياته التي يحتفظ بها عن هذه المدرسة هو انتظار والدته له لتتجاذب معه أطراف الحديث، ممّا عزز ثقته بنفسه.

بقوله:« وأجمل ذكرياتي عن السنوات" إعدادية الجزيرة "هي نهاية اليوم الدراسي عندما أجد أمي دائما في انتظاري لنتجاذب أطراف الحديث،... » [2] .

ثم التحق، فيها بعد،"بمدرسة القاهرة للأطفال الأمريكيين "بصفته ابن رجل أمريكي فكانت هذه المدرسة تستقطب أبناء موظفي الجالية الأمريكية بقوله:« انتسبت إلى" مدرسة القاهرة للأطفال الأمريكيين "في خريف العام 1946، بصفتي ابن رجل أعمال أمريكيا... في الصباح الباكر من يوم تشريني مشمس مع سرب من الأطفال الأمريكيين الغربيين تماما والضاجين واللامبالين، يرتدون القمصان الملونة الزاهية والتنانير وال"شورطات"، لم يسبق لي أن شاهدت أمريكيين بمثل ذلك التنوع والكثرة » [3] .

فهو يرى أنّ التعليم الأمريكي منظما ومسليا ،على عكس ما عاينه من جمود وصرامة في الأسلوب المعتمد من جانب مدرسة" الجزيرة الإعدادية "بقوله:« وجدت التعليم الأمريكي نظاما تربويا صمم ليكون جذابا وبيتيا

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر السابق ، ص63 .
[2] المصدر نفسه ، ص73 .
[3] المصدر نفسه، ص113 .

ومفصلا على مقاس أطفال في طور النمو .في"إعدادية الجزيرة "كانت الكتب متماثلة من حيث حروفها الطباعية الصغيرة وخالية من التزيينات وصارمة في جفاف أسلوبها» [1] .

و لما قارب الرابعة عشرة من عمره، داخل إلى مدرسة"فيكتوريا كوليدج "بقوله:« حين دخلت"فكتوريا كوليدج "في خريف العام1949 ، وقد قاربت الرابعة عشرة، أنني سأقضي آخر سنتين لي في القاهرة » [2].

ويوضح ما سبق بشكل أكبر، قائلا:«...،بأنها مدرسة معدة لأن تكون" إيتون "الشرق الأوسط .جهازها التعليمي كله من الإنجليز، باستثناء معلمي اللغة العربية واللغة الفرنسية، مع أنه لا يوجد فيها تلميذ إنجليزي واحد خلافا لما هو الحال في" إعدادية الجزيرة" » [3].

ويشترك النصان أعلاه، في أنّ هناك حيرة في نبرة "إدوارد سعيد "في أنه لم يكن فيها تلاميذة إنجليز، إلّا أنّ معظم طاقمها مكون من أساتذة إنجليز، عدا أساتذة لغتي العربية والفرنسية، الذين كانوا يسعون إلى غرس إيدولوجيا الإمبراطورية البريطانية وتوطينها في عقول المتعلمين .وهذا يفضي بنا إلى قوله:« ولفرض الانسجام على نحو ألف صبي يدرسون في" فكتوريا كوليدج"، وزعتنا الإدارة إلى " فرق "لمزيد من غرس إيديولوجيا الإمبراطوريا البريطانية وتوطينها فينا .» [4] ،حاول" إدوارد سعيد "فضح سياسة التعليم الكولونيالي؛ الذي يسعى إلى طمس معالم الإنسان لمصلحة العلم،حتى يبقى داخل إطار التبعية بشتى أنواعها.

وما يستوقفنا هنا قوله:« وإني ما أزال أندهش إلى الآن من مجرد خطورة المغامرة التي انطوى عليها قدومي إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1951 لست أملك إلا فكرة غامضة جدا عما كانت ستؤول إليه حياتي لو أني لم أجئ إلى أمريكا» [5] .

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر السابق ، ص117 .
[2] المصدر نفسه، ص225 .
[3] المصدر نفسه، ص226 .
[4] المصدر نفسه، ص228.
[5] المصدر نفسه،ص276.

ويقول كذلك:« و لا أزال إلى هذا اليوم، أشعر بأني بعيد عن البيت مهما بدا الأمر مضحكا.ومع أني لست متوهما أني كنت سأعيش حياة" أفضل "لو بقيت في العالم العربي، أو عشت و درست في أوروبا، فلا يزال يلازمني بعض الندم » [1].

يتّضح من خلال هذا أنّ " إدوارد سعيد "على الرغم مما حققه من نجاح، ظل الندم يراوده على عدم بقائه في العالم العربي .وفي مقابل ذلك متابعة مشواره الدراسي في أوروبا.

كما درس في مدرسة "ماونت هرمون "التي تعتبر امتدادا لحياة القاهرة في الولايات المتحدة الأمريكية.«فعلاوة على الدكتور روبيندال، كان" نيد الكزاندر" صلتي الأخرى الوحيدة بالقاهرة في ماونت هيرمون» [2] . ويعني هذا،أنّ" إدوارد سعيد "انطلق من وضعه في المنفى،ليقارن بين تذكره لما خلّفه وراءه في القاهرة،وبين تجربته الحاضرة في مدرسة" ماونت هيرمون".

و يضيف قائلا:«فخلال دراستي في ماونت هيرمون ،لم أعيّن مرة خفير طابق أو رئيس مائدة أو عضو في مجلس الطلبة أو الأول، أو حتى الثاني، في الصف، مع أني كنت جديرا بذلك، وذلك لأسباب لم أعرفها قط »[3]

يرى" إدوارد سعيد "أنّه منبوذ بالرغم من النتائج الباهرة التي حققها في جميع الأنشطة العلمية والرياضية والموسيقية.

لينتقل في خريف 1953 إلى جامعة"برنستون"« ولكن لأسباب غريبة جدا، أجدها الآن جد واهية، حزمت أمري بسرعة وقررت الذهاب إلى برنستون،...» [4].

[1] إدوارد سعيد:خارج المكان ، ص276 .
[2] المصدر نفسه ، ص283.
[3] المصدر نفسه، ص285 .
[4] المصدر نفسه، ص304 .

فكان اختياره لجامعة برنستون على حدّ تعليمه لأسباب خرافية بقوله:«... جذبتني إلى برنستون لأسباب خرافية تماما .فقد بدت لي، في استهاماتي الهادئة والسطحية، أنها النقيض من ماونت هيرمون ...وباختصار إنها انعكاس لحياة القاهرة في الولايات المتحدة » [1].

لتساهم دراسته في جامعة برنستون في بلورة أسلوبه بالتفكير المستقل، وتدبير حياته بنفسه، ممّا حفّزه على مواصلة مشواره بأن يكون مثقفا.

أمّا السنوات الخمس التي أمضاها في جامعة "هارفارد "كطالب دراسات عليا في الأدب، كانت استمرارا فكريا " لبرنستون "بقوله:« كانت سنواتي الخمس(1958- 1963) كطالب دراسات عليا في الأدب في جامعة هارفارد استمرارا فكريا لبرنستون فيما يتعلق بالدراسة الرسمية » [2].

كما يرى" إدوارد سعيد "أنّ معظم الطلبة كانوا يشعرون بأنهم بغير مكانهم، بسبب قلقهم في تلك المؤسسة لعدم تقديمها أي جهد بالتحفيز أو التشجيع.« لم يكن من غضن واحد على سطح ذلك الهمود الطلابي، ربما لأنه، في غياب أية قدوة فكرية تحفز جهودنا، كنا نشعر جميعنا أننا في غير مكاننا، وأننا على قلق في تلك المؤسسة » [3].

وهذا ماحفّز" إدوارد سعيد "على تطوير مؤهلاته وقدراته الفكرية بعيدا عن البرنامج الدراسي المعتمد«فقد حققت اكتشافاتي الفكرية خارج نطاق البرنامج الدراسي المطلوب، بمعية طلاب أصيلين وموهوبين زاملوني أيضا في هارفارد،... » [4].

وهنا كان لابدّ لنا أن ننبه إلى أمر مهم وهو عكوف " إدوارد سعيد "على قراءة كتب كان لها أثر إيجابي في إعداد أطروحته عن" كونراد "ومن بين هذه الكتب نذكر كتاب فيكو العلم الجديد، والتاريخ والصراع الطبقي

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر السابق، ص304 .
[2] المصدر نفسه، ص352 .
[3] المصدر نفسه، ص 352 .
[4] المصدر نفسه، ص352 .

للوكاش... «...فقد صارت الأحداث الهامة بالنسبة إلي هي قراءة كتاب فيكو العلم الجديد وكتاب التاريخ والصراع الطبقي للوكاش، ومؤلفات سارتر وهايدغر وميرلو-بونتي وجميعهم أثروا في أطروحتي عن كونراد ...» [1].و يتضح من خلال هذا القول، أنّ" إدوارد سعيد "تأثر بمجموعة من الفلاسفة الذين ساهموا في تكوينه الفكري و العلمي. .

ج-حياة المنفى وديناميةالهوية:

يعتبر الناقد والمفكر" إدوارد سعيد "واحدا من أولئك النقّاد الذين عاشوا خارج المكان، أمثال " كونراد " الذي تأثر به " إدوارد سعيد"، ويوضح هذا بقوله:«... بولونيا بلد سلافي، فيما إنجلترا بلد أوروبي غربي، يبقى أنّ العالم الذي نشأ فيه كونراد واللغة التيّ استخدمها في أعماله ظلاّ محصورين ضمن أوروبا بوصفهما وجهين لمنطقة واحدة .وأمّا في حالتي أنا، فالفارق بين الإنجليزية والعربية يتّخذ شكل توتر حاد غير محسوم بين عالمين مختلفين كليّا بل متعاديين... »[2].

والملاحظ لهذا القول، يرى " إدوارد سعيد "أنّ منفاه يختلف عن منفى" كونراد"، ذلك أنّ منفى هذا الأخير كان داخل جغرافيا واحدة بينما منفى (إدوارد سعيد)كان بين عالمين مختلفين كل الاختلاف جغرافيا ولغوياً. ممّا ولّد لديه شعور أنّه منزاحا عن المكان بقوله:«... غير أنّ الغالب كان شعوري الدائم في غير مكاني»[3]

فكان للمنفى والهجرة الاضطرارية أثر واضح على" إدوارد سعيد"، فقد كان يشعر بهشاشة الصلة بالمكان الذي ولد فيه وذلك بحكم التنقل والسفر من مكان إلى آخر، ليجد نفسه دون تجذّر عرقي أو تاريخي أو جغرافي أو ثقافي،« إنّ الذكرى الأقوى والأكثر استمرارا لديّ كطفل هي ذكرى كوني شخصا يعوزه الانسجام والتكيف

إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر السابق ، ص352، 353 .

[2] المصدر نفسه ، ص8 .

[3] المصدر نفسه، ص25 .

مع مجتمعه ...كنت شديد القلق والتوتر في ما يخص علاقتي مع الآخرين، نظرا إلى أني كنت أحسدهم نوعا ما على كونهم مسلمين /مصريين أو مسلمين/ فلسطينيين، وكان يساورني شعور على الدوام بأني لست كما يجب»[1]

وظل يوافقه شعور الاغتراب والمنفى وعدم الانتماء أينما حل وارتحل، مما أدى إلى إضعاف صلته حتى بوطنه الأم" فلسطين"، ويظهر ذلك من خلال قوله:« ذكرياتي الأولى عن فلسطين ذكريات عادية، والغريب أنها غير لافتة، قياسا إلى عميق انشغالي اللاحق بالشؤون الفلسطينية كانت فلسطين مكانا أُسلّم به تسليماً، بما هو الوطن الذي أنتمي إليه... »[2].

ونظرا لكون طفولته وتعليمه عبارة عن حركة متنقلة، نجد أنّ المنفى عنده ذا رؤى مختلفة، بقوله:«...،كانت الجغرافية في مركز ذكرياتي عن تلك السنوات الأولى، خصوصا جغرافية الارتحال، من مغادرة ووصول ووداع ومنفى وشوق وحنين إلى الوطن وانتماء، ناهيك عن السفر ذاته » [3].

وينبغي ألاّ ننسى، هنا، بأنّ الناقد عبّر عن هذا في كتابه" السلطة والسياسة والثقافة "بقوله:«...، وهو أني تلقيتُ تعليمي على الدوام في مدارس إمّا إنجليزية أو فرنسية...، كانت هنالك مشكلة تعليمي، إذ مع بلوغي الثالثة عشرة من العمر أو ما يقارب ذلك، كنت قد تعلّمت كل ما يمكن تعلمه عن التاريخ الإنجليزي مثلا، أو التاريخ الفرنسي، لكنّي كنت لا أفقه شيئا عن المكان الذي أعيش فيه .ذلك كان أسلوب التعليم .لذلك كان هناك إحساس بالقلق المستمر».[4]

بالإضافة إلى شعوره بأنّه في المكان الخطأ، فهو دائم استحضار وتذكر مواضيع عالمه العربي، باعتباره كاتب منفى، فيقول في كتابه "الثقافة والإمبريالية":«لقد نشأت، لأسباب موضوعية لم يكن بوسعي السيطرة عليها، عربيا ذا تعليم غربي.ومنذ أقصى لحظة أستطيع استذكارها، أحسست بأنني أنتمي إلى كلا العالمين،...ولفترات طويلة من

[1] إدوارد سعيد: السلطة والسياسة و الثقافة ،تر: نائلة قلقيلي حجازي ، دار الآداب، بيروت، ط1، 2008، ص258 .

[2] إدوارد سعيد:خارج المكان، ص45.

[3] المصدر نفسه، ص22 .

[4] إدوارد سعيد: السلطة والسياسة والثقافة، المرجع نفسه، ص259 .

الزمن، كنت وما أزال خارجيا " لا منتميا "في الولايات المتحدة...بيد أنني حين أقول" منفي "فأنا لا أعني ما هو حزين أو محروم بل على العكس، ذلك أن انتماءك إلى كلا ضفتي الفالق الإمبريالي يتيح لك أن تفهمهما بسهولة أكبر »[1].

وهكذا تستمر حالة اللامكان التي فرضت على" إدوارد سعيد"، وعدم الانتماء، وهو بذلك لم يحدد انتمائه لهذين العالمين؛الشرق والغرب في الوقت نفسه .فيقول:«...، لكن ما لا ريب فيه أنّ هذه الظروف أتاحت لي أن أشعر وكأنني أنتمي إلى أكثر من تاريخ واحد و من جماعة واحدة .أمّا السؤال عمّا إذا كانت هذه الحالة قابلة للاعتبار بحق بديلا ناجعا للإحساس المعتاد بالانتماء إلى ثقافة واحدة وللشعور بحسّ بالولاء لأمة واحدة، فإنه ينبغي أن يترك للقارئ ليختار إجابة عليه» [2] .

وعلى هذا الأساس، فإنّ حياة"إدوارد سعيد "تعتبر سلسلة من المنافي؛ فهو عاش حياة منفيّ بامتياز بين البيئة العربية والبيئة الأمريكية، ممّا ساهم في زيادة القلق الهووي، وإحساسه بأنّه بلا هوية،بقوله:« ولقد امتلكني هذا الشعور المقلق بتعدد الهويات –ومعظمها متضارب –طوال حياتي، ورافقته ذاكرة حادة أني كنت أتمنى بشكل محموم لو أننا جميعا عرب كاملون أو أوروبيون أو أمريكيون كاملون... » [3].

يمكن القول، اعتمادا على ما تقدم، أنّ شعور" سعيد "بالهوية اللاّثابتة رافقه مع مرّ السنين ممّا زاد من عمق جرحه وألمه الهووي.

ويقول، كذلك:«... إنّ هويتي ذاتها تتكون من تيارات وحركات لا من عناصر ثابتة جامدة».[4]

والواقع، أنّ تجربة المنفى ساهمت في بلورة الهوية الدينامية لدى"إدوارد سعيد"، ليجد نفسه في صراع ضدّ شعوره بهشاشة هويته وإحساسه بالغربة بين عالمين اثنين بقوله:« إلى ذلك نما لديّ شعور متزايد بأنّه إذا كنت أشعر

[1] إدوارد سعيد: الثقافة والامبريالية، المرجع السابق، ص71 .
[2] المرجع نفسه، ص71 .
[3] إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر السابق، ص27 ،28 .
[4] المصدر نفسه، ص9 .

بوجود هوّة من سوء التفاهم تفصل بين عالميّ الاثنين، عالم بيئتي الأصلية وعالم تربيتي، فإنّ مهمة تجسير تلك الهوّة إنما تقع عليّ وحدي دون سواي»[1].

ولم يكتف عند هذا الحدّ، بل تحدث أيضا عن هويته المركبة في كتابه "السلطة والسياسة والثقافة "بقوله:« كان والدي يحمل الجنسية الأمريكية، ولذلك كنت بالوراثة أمريكيا وفلسطينيا في آن واحد؛ وكنت أقيم في مصر لكني لم أكن مصريا .أنا أيضا مركّب غريب، وهذه هي أولى ذكرياتي» [2].

وهذا يعني؛ أنّه يرجع شعوره بأنّه مواطنا أمريكيا وانتسابه إلى فلسطين في آن واحد، إلى كونه ابن مواطن أمريكي؛ ممّا ولّد لديه إحساس غريب لكونه يحمل الجنسية الأمريكية، وفي الوقت ذاته ينتمي إلى فلسطين باعتبارها بلد وموطن المولد.

ونظرا إلى كون" إدوارد سعيد" عاش في عالمين مختلفين، تعزّز لديه شعور صعوبة الانتماء إلى جماعة ما، وخاصة عندما كان في مصر بصفته عربّي فيقول:« وكان الشعور العام المسيطر عليّ هو شعوري بامتلاك هوية مضطربة، أنا الأمريكيّ الذي يبطن هوية عربية أخرى لا أستمدّ منها أيّة قوة بل تورثني الخجل والانزعاج » [3].

إضافة إلى ذلك نجد أنّ جلّ تعليمه الذي تلقاه كان في مدارس كولونيالية، والتي لا طالما رأى أنّه في غير مكانه بفعل ما كان يمارسه هؤلاء من تمييز بين الإنجليز والعرب، ويظهر ذلك في قوله:«...، شعرت أنّ لاشيء في منزلي أو عائلتي قد أعدني لكل ذلك .كنت وحدي حقا :شخصية مجهولة وغريبة سوف تبتلعها قريبا الآلياتُ المعقدة...، هو أكبر بعشرة أضعاف من أيّة مدرسة ارتدتها من قبل » [4].

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص9 .
[2] إدوارد سعيد: السلطة والسياسة والثقافة، المرجع السابق، ص258 .
[3] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص125 .
[4] المصدر نفسه ،ص227 .

ويضيف قائلا:«يوما بعد يوم في المدرسة أخذت أشعر بالتفارق بين حياتي الشخصية، أنا" إدوارد "ذا الهوية المزوّرة بل والإيديولوجية... »[1].

ويعني، هذا رغم تشبّع" إدوارد سعيد "بالثقافة الأمريكية وتجنّسه بجنسيتها، فهو يشعر بأنّه بلا هوية.

وفي مقابل ذلك حاول التفاعل إيجابا مع هويته الحركية والتعايش معها، بحكم ابتعاده عن موطنه الأصلي. فيقول:« والآن فقط تغلّبت على نفوري من العربيّة الذي سببه النظام التعليمي والمنفى وصرت أستمتع به».[2]

لا يمكن تجاهل دور الهجرة والمثاقفة اللّتان ساهمتا بشكل واضح في إضفاء المزيد من الحركة على هوية "إدوارد سعيد"، لتصبح بذلك أكثر انفتاحا على الهويات الأخرى، بحكم أنّ الهوية الغربية هي الهوية المركزية المتحضّرة ثقافيا، في حين كانت صورة الهوية العربية دونية من وجهة نظر تلك المناخات الإجتماعية و الثقافية الغربية المغايرة، التي أرادت أن تضفي عليه نمطيّتها، وحاولت إنكار جذوره ومسقط رأسه، مما حفّز" إدوارد سعيد " للبحث عن حياته في العالم العربي؛ حيث ولد،والبحث عن هويته المتشظاة على حدّ سواء، مثبتا ومؤكّدا أصوله وجذوره العربية الفلسطينية.

د–القضية الفليسطينية:

رغم البعد الذي عاشه"إدوارد سعيد "في المنفى؛ والذي أورثه شعورا بالهشاشة والخسارة، إلاّ أنّه ظلّ يعّبر عن هذه المسافة المتباعدة التي يعيشها بعيدا عن وطنه الأمّ"فلسطين "الذي استعاد عن طريق ما خزّنت ذاكرته،فكانت فلسطين جغرافيا متخيّلة استعادها حتى يجعل من المنفى"أمريكا "مكانا غائبا.« اكتسبت فلسطين طابعا ناعسا بل حلميا .هناك كنت أتحرّر من ذلك الشعور الحادّ بالوحدة ...كنت أشعر بانحصاره وطأة التنظيم المحكم للمكان والزمان.» [3] ،وصارت هذه الأحداث فيها بعد مادّة لتشكيل وعيه بهويته الفلسطينيّة،لتكون

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص125 .
[2] المصدر نفسه، ص247 .
[3] المصدر نفسه ، ص46

القضيّة الفلسطينيّة حاضرة في كتاباته، والتي تجسّدت من خلال تحدّثه باسم الكثير من الفلسطينيين اللاّجئين والمشرّدين والمنفيّين في جميع أنحاء العالم محاولا إثبات هوية قومية، أصبحت صعبة المنال، وذلك باعتباره أبرز مدافع عن هذه القضية في الولايات المتحدة الأمريكية.«بدأ انخراطي في العمل السياسي الخاص بالقضية الفلسطينية بفضل الوراثة وبداية حياتي، على ما أعتقد ».[1]

وإلى مثل هذا المعنى أشار الناقد حين قال :«بفضل عمتي نبيهة، اختبرت فلسطين أول الأمر تاريخا وقضية من خلال الغضب والاستنكار الذين أثارهما فيّ عذاب اللاجئين، هؤلاء" الآخرين" الذين أدخلتهم هي إلى حياتي. وهي أيضا أوّل من نقل إليّ مشقّات أن يكون المرء بلا وطن أو مكان يعود إليه، محروما من حماية سلطة أو مؤسسات وطنية، ... ومعاناة الفقر والجوع والمذلّة.» [2].

يمكن القول، اعتمادا على ما تقدم أنّ عمّته "نبيهة "كانت أوّل من أيقظ إحساس "إدوارد سعيد "وشعوره بهذا بعذاب ومآسي اللاّجئين بعدم الانتساب إلى وطن يحميهم، ويخفّف عنهم مشقّة هذه المعاناة.

فأصبح" إدوارد سعيد "يمثل صوت الفلسطيني المقهور والمقتلع من جذوره، محاولا إنقاذ الهوية الفلسطينيّة من الدّمار والتّلاشي والمسخ، فيقول:« فالهوية التي طال إرجاؤها وإنكارها تحتاج لأن تخرج من العلن وتأخذ مكانها بين الهويات الإنسانية الأخرى .»[3].

ليتحوّل منفى وألام الشعب الفلسطيني إلى آمال استرجاع الحرية التي سلبت منه« فأيّ صراع يفوق في عناده الصراع بين اليهود الصهاينة والفلسطينيين العرب؟ فالفلسطينيّون يشعرون أنهم قد تحوّلوا إلى منفيين على أيدي

[1] إدوارد سعيد: السلطة والسياسة والثقافة، المرجع السابق، ص215 .

[2] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص158، 159 .

[3] إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى، المرجع السابق، ص244، 245 .

اليهود،ذلك الشعب الذي يضرب به المثل في النفي.غير أنّ الفلسطينيّين يعلمون أيضا أنّ إحساسهم بالهوية الوطنية قد ترعرع في وسط المنفى، حيث كلّ من لا تربطهم به صلة الدّم هو عدوّ... » [1] .

يتّضح من خلال هذا القول ،أنّ تجربة النّفي، التي عانى منها الفلسطينيّين، زادت في تعزيز وطنيّتهم، متجاوزين معاناة الضياع والاستلاب.

وقد سبّب له موقفه من القضية الفلسطينية كثيرا من العداء وهذا يظهر من خلال ما قاله الصّحفي " بارسميان "معلّقا على التجربة النّضالية" لإدوارد سعيد"«دفع إدوارد سعيد ثمنا باهظا بسب مكانه البارز في مشهد القضية الفلسطينية، فوصم بأنّه " بروفوسور الإرهاب " ودعته قائمة الدّفاع اليهوديّة بالنازي، وتمّ إحراق مكتبه في كولومبيا، وتلقى هو وأفراد عائلته " تهديدات بالموت لا حصر لها "كما كتب إدوارد نفسه». [2]

فهذا القول يتضمّن الدّلالة على أنّ" إدوارد سعيد " كان ناشط سياسي مهم، مصرّ على وطنيته وانتماءه لفلسطين، لذلك حاول الصهاينة محاربته كثيرا؛ بحرق مكتبه، والتعرض للتّهديد بسبب حرصه على تأكيد الحقّ الفلسطيني على أرض فلسطين .

إلاّ أنّه من المفيد أن نشير إلى أنّ، استقرار أسرة " إدوارد سعيد "في الولايات المتحدة الأمريكية، ساهم في غياب فلسطين ؛ فلم تعد حاضرة كما كانت من قبل، فأخذت تتلاشى تدريجيا بقوله:« إنّ عيشي بعيدا عن فلسطين التي نشأت فيها، وصمتُ عائلتي عن دورها في حياتنا، ثم اختفاء فلسطين لفترة طويلة من حيواتنا جميعا، ...هذه كلها سمحت لي بأن أعيش حياتي الأمريكية المبكرة على مسافة بعيدة عن فلسطين النّائية الذكرى، بما هي حسرة مستمرة وغضب مبهم .» [3] .

[1] إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى، المرجع السابق ، ص123 .

[2] ديفيد بارساميان: الثقافة والمقاومة، لادوارد سعيد، تر: علاء الدين ابو زينة، دار الآداب، بيروت، ص14 .

[3] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص182 .

وهذا يعني، أنّ عائلة" إدوارد سعيد " لم تكن معنية بالشّأن السياسي، رغم الأحداث الجسيمة التي حصلت آنذاك، إلّا بمقدار ما أثّر على مصالحها التجارية واستقرارها، ممّا ترك حسرة وتساؤل لديه، وهذا راجع إلى فضوله للتّعرف أكثر على منطقته الأمّ، والاهتمام بقضايا المنطقة.

ليصاب فيما بعد بخيبة أمل مروّعة لما آلت إليه فلسطين، فازداد إحساسه بالفراغ الجغرافي؛ وأنّه خارج المركز، وما صعّب عليه العودة إلى الموطن هو فقدان فلسطين.

«كانت فلسطين قد سقطت ونحن غافلون عن حقيقة أن حيواتنا تقودنا إلى الولايات المتحدة حيث سنعيش أنا و أمّي و نصاب بمرض السرطان الذي سوف ينهي حياتنا في "العالم الجديد" ».[1]

ويؤكد آخر هذه المقولة، بقوله:« و كانت فلسطين تلوح كلمح البصر ثم تختفي من حياتنا النيويوركية في ذلك الصيف، سمعت لأوّل مرّة عن تأييد الرئيس ترومان للصهيونية، ... منذ ذاك الوقت اكتسى اسم ترومان عندي طاقة تعويدية شريرية، ما أزال أستشعرها إلى الآن ذلك أني مثلي مثل جميع فلسطيني الأجيال الثلاثة الأخيرة، ألومه على دوره الحاسم في تسليم فلسطين للصهاينة .» [2].

نلاحظ من خلال ما تقدم، أنّ" إدوارد سعيد"، يتحدث عن سقوط فلسطين بيد الصّهاينة، والمسبّب لذلك الواقع الاجتماعي والسياسي للمنطقة، ولومه عن تلك الأحداث السّياسيّة، كونه حمل القضية الفلسطينيّة على عاتقه(إدوارد سعيد)، من خلال رفعه لشعارات الحريّة للشّعب الفلسطيني والدّفاع عن حقوقه.

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص174 .
[2] المصدر نفسه، ص181، 182 .

المبحث الثاني: الذاكرة

أولا :مفهوم الذاكرة:

تلعب الذاكرة دورا كبيرا في بناء حياة الإنسان، ذلك أنّه لا يوجد إنسان خال من ذكريات تكون راسخة منذ طفولته الأولى، وتبقى عالقة في الذهن والوجدان على مرّ العصور .لهذا نلقى اختلافا وتباينا حول مفهومها في أوساط الباحثين والنقاد، والأمر الذي شكل لدينا دافعا لتقديم أبرز المصطلحات الخاصة بالذاكرة.

أ –لغة :

جاء في قاموس المنجد في اللغة العربية المعاصرة لفظة ذاكرة بأنّها:« قوة نفسية تحفظُ الأشياء في الذهن وتحضرها للعقل عند الاقتضاء، حافظة: " أبيات مطبوعة في ذاكرتي "يعني في ذاكرة الناس، قُدرة عقلية خاصة على تذكرُ بعض الأشياء، ذاكرة الأماكن ...قوة عقلية يحفظ بها الإنسان في ذهنه، كل ما يُبصر، ذاكرة حافظة :قدرة على استبقاء الأشياء في الذهن "إن لم تخني الذاكرة...حدة ذاكرة :فرط ذاكرة :تذكر زائد لأحداث الماضي أو استذكار فائق لهما، مطبوع في الذاكرة :لا يمكن نسيانه . »[1].

يتضح لنا من خلال هذا التعريف، أنّ الذاكرة هي القدرة التي نتمكن بواسطتها من تذكر بعض الأشياء أو الاحتفاظ بها في الذهن أو استرجاع بعض المعارف أو الأشياء من خلال مجهود ذهني باعتبارها فعل تذكر لأحداث الماضي.

أمّا في معجم الوسيط(مجمع اللغة العربية)فقد جاءت الذاكرة بمعنى:« قدرة نفسية على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها(مج).»[2].

وممّا تقدم يتبيّن لنا، أنّ لفظة الذاكرة جاءت أغلبها بمعنى قدرة نفسية مرتبطة بالعقل، حافظة للأشياء والمعارف والتجارب، كما يمكنها استرجاع الأحداث الماضية وتذكّرها.

[1] المنجد في اللغة العربية المعاصرة،المرجع السابق، ص509.

[2] مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط ،المرجع السابق ،ص313.

ب –اصطلاحا:

يعدّ مصطلح الذاكرة من أكثر المصطلحات إثارة للجدل، بسبّب تباين الآراء حول هذا المفهوم، وذلك لما تحمله هذه اللفظة من دلالات ومعان وأبعاد وأسرار؛ لأنّنا نصف عملية معرفية صعبة ومعقدة ترتبط بعمليات الانتباه والإدراك والتخزين وغيرها، وكذلك باعتبار أنّ كل معرفتنا مبنّية على ذاكرتنا، ممّا جعلها تنطوي على جملة من المفاهيم منها:

تعرّف الذاكرة في علم النفس على أنّها:« إحدى الوظائف العقلية المختصة بالاحتفاظ بذكريات الفرد وما مرّ به من تجارب وما تعلّمه من معلومات...، وإذا كانت الذاكرة تتأثر عادة بدوافع الفرد وبتكوينه النفسي عموما، فتعمل دوافع الفرد الشعوري واللاّشعوري على الاحتفاظ في ذاكرته ببعض المعلومات ونسيان بعضها الآخر».[1]

يتّضح لنا من خلال هذا التعريف، أنّ الذاكرة ظاهرة عقلية، تقوم بالاحتفاظ بالوقائع والتجارب والأحداث التي مرّ بها الفرد؛ متأثرة بالجانب النفسي له.

وتعرّف الذاكرة في علم الفلسفة على أنّها:« قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها ».[2]

كما نودّ أن نقول في هذا السياق أنّ الذاكرة تعرّف بوصفها:« هي المخزن الذي تحفظ فيه التجارب لكي تستخدم في المستقبل.» [3].

نلاحظ من خلال هذا القول، أن الذاكرة هي الخزان الذي يستمد منه الكاتب خبراته ووقائعه.

[1] فرج عبد القادر طه ،شاكر عطية قنديل:معجم علم النفس و التحليل النفسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1،ص204.

[2] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د.ط،1983،ص88.

[3] ميري ورنوك: الذاكرة في الفلسفة و الأدب، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 ،2007،ص82.

ثانيا :أهمية الذاكرة:

تختلف أهمية الذاكرة وتتباين قيمتها من مجتمع إلى آخر، ونظرا لأهميتها في حياة الشعوب وتطوّرها، نجدها حاضرة في كل زمان ومكان، وفي أيّ مجال اجتماعي، ديني، ثقافي، سياسي، معرفي، ...وذلك لما تكتسبه من قيمة عظيمة.

والتي تتّضح من خلال ما يلي:[1]

- لولا الذاكرة لما وجدت الاختراعات الجديدة، ذلك" هل كان بوسع رجل مثل "ألبرت أنشتين "أن يأتي بالصيغ والنظريات الجديدة إذا لم يكن يعرف أو يتذكر كل النظريات القائمة حينها؟ بالطبع لا.كما لم يكن سيتم اختراع الهاتف لولا أن المخترع " أليكسندر جراهام بيل "يعرف أو يذكر كل قواعد نقل الصوت المعروفة حينئذ " .
- إنّ كلّ ما نقوم به غالبا يعتمد على الذاكرة وما نقول إنّنا نقوم به من أفعال " بالغريزة "يحدث من خلال الذاكرة.
- الذاكرة المدرّبة التي لها القدرة على الاحتفاظ بالمعلومات مهمة جدا بالتأكيد، مثال ذلك أنّ الطفل في المدرسة لابدّ من إخباره بضرورة حفظ الأشياء وكيفية حفظها، باعتبار أنّ كتابة وتدوين الأشياء وحده لا يكفي للمساعدة على التذكر.
- يعتبر الشاعر الإفريقي"سايمونيديس "أوّل من استخدم نظاما مشابها لنظام المشابك عام خمس مائة قبل الميلاد (500ق.م) فعن إحدى القصص التي رويت عنه بينما كان يلقي قصيدة شعرية في وليمة، إنهار سقف المبنى على الحاضرين فماتوا جميعا ماعدا " سايمونيديس "وبسبّب تداخل أشلاء الضحايا لم يتم التعرف على الموتى من أجل دفنهم. و لكن استطاع "سايمونيديس "أن يتذكر أسماء كل الحاضرين؛ لأنّه حفظ مواقعهم حول مائدة الوليمة.

[1] ينظر: هاري لورين: الدليل الكامل للتحكم في الذاكرة(طريقة تنظيم قوة عقلك وتطويرها)، حقوق الترجمة العربية و النشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط8 ،2009،ص151-153.

- أمّا في العصر الحاضر، حيث نال الجنرال "جورج مارشال "شهرة وصيتا بسبّب ما قام به في بعض المؤتمرات الصّحفية حيث كان يطلب من الصحفين أن يقاطعوه ويسألوه أيّة أسئلة في أيّ وقت أثناء الحوار، وكان الصّحفيون يفعلون ذلك، وكان ينصت للسؤال ولا يجيب عنه بل كان يستمر في مواصلة حديثه، وبعد انتهائه كان ينظر إلى كل شخص ممن طرحوا عليه الأسئلة ويجيب عن أسئلتهم كل عن حدى .وكان ذلك دائما مصدر للدهشة لدى رجال الصحافة ولكنه كان أمرا سهلا بمساعدة أيّ نظام للذاكرة.

ثالثا :أنواع الذاكرة:

قد توصّل الباحثون إلى الأصناف المختلفة للذاكرة والتي يمكن أن نذكر أبرزها :الذاكرة ذات المدى الطويل والذاكرة ذات المدى القصير، الذاكرة الأسريّة، الذاكرة المكانية، ذاكرة الأحداث، الذاكرة الفردية، الذاكرة الجماعية، الذاكرة الثقافية، الذاكرة المرحلية. ...

اقترحت مجموعة من النماذج إلاّ أنّ نموذج العالمين النفسانيين(أتكنسون)و(شيفريّن)في نهاية الستنيات من القرن العشرين يصنّف من بين النماذج البنائية للذاكرة .إذ قسم هذه الأخيرة إلى ثلاث مكونات :الذاكرة الحسية، والذاكرة ذات المدى القصير، الذاكرة ذات المدى الطويل[1].

أ–**الذاكرة الحسية** :يكون الاحتفاظ بالمعلومة لمدة قصيرة جداّ، إلى درجة أنّها غالبا ما تعتبر وكأنّها جزء من عملية الإدراك[2] .فهي أوّل مكان لاستقبال مثيرات العالم الخارجيّ، ويكون مصير المعلومات الواردة إمّا الزّوال أو الانتقال إلى الذاكرة قصيرة المدى، بالإضافة إلى أنّ« قدرة الإنسان على الانتباه إلى أكثر من مثير في نفس الوقت محدودة ولذلك يصعب على الإنسان غالبا أن يستقبل أو يعالج كميات كبيرة من المعلومات في نفس الوقت» [3].وعليه يمكن القول، أنّ أصناف الذاكرة الحسية هي بعدد صيغ الحسية يتم التمييز بين نظامين فرعيين وهما:« الذاكرة

[1] ينظر: لورون بوتي :الذاكرة أسرارها و آلياتها، تر: عز الدين الخطابي، هيئة أبوظبي للسياحة و الثقافة، أبوظبي ،ط1 ،2012،ص27 ،28 .

[2] ينظر:المرجع نفسه، ص30 .

[3] رجاء محمود أبو علام:سيكولوجية الذاكرة وأساليب معالجتها، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان ،ط1 ،2012،ص125.

الأيقونية للإدراك البصريّ والذاكرة السمعية للإدراك السمعيّ مثال ذلك (عندما نذهب إلى السينما نجد أنفسنا أمام سلسلة من الصورة الثابتة التي تفصل بينها لحظات قصيرة من العتمة) .» [1]،وبذلك يمكن القول إذا كنا نذكر "ذلك كمشهد متحرك باستمرار< شبيه بالواقع لأنّنا نقوم بتخزين كل صورة معروضة في فترة وجيزة، وهذا بفضل الذاكرة الأيقونية وفي مقابل فالمعالج السمعية تعمل على جمع المعلومات في فترات قصيرة من الزمن، هكذا توفّر الذاكرة الحسية أثناء إدراكها لوحدة الموضوع فهي لا تلتزم بالتركيز على خاصية محددة للموضوع، ذلك أن التخزين يتم بشكل آلي خلال الإدراك ويختفي بشكل عام في أقل من ثانية.

فكان عالم النفس (سبيرلينغ) من السبّاقين إلى إجراء سلسلة من البحوث في بداية الستنيات من القرن العشرين، سمحت بتقدير مدة الذاكرة الأيقونية، من هذا المنطلق تعتبر الذاكرة الأيقونية أساسية للإدراك البصريّ الواعيّ ".[2]

ويرى" هوبز "أنّ الذاكرة :« إدراكا حسيا ثانويا»[3].بمعنى أنّ هناك بعض الأفراد يتمتّعون بإدراك حسي أوسع وأوضح، فهو من خلال قوله هذا، أكّد على وجود الذاكرة الحسية.

ب–الذاكرة ذات المدى القصيرة(ذاكرة الإشتغال):

فهي تسجل الأحداث المتسلسلة في الحياة اليومية بشكل مؤقت مثال ذلك:(أنّه بإمكاننا عند سماع رقم هاتف نسيانه بسرعة إذ لم نقم بمجهود واعي لتذكره) وبذلك يمكن القول: «يمكن الاحتفاظ بالمعلومات والبيانات في هذه الذاكرة لفترة أطول، إلاّ أنّها مازالت قصيرة جدا لا تزيد على دقائق معدودة وكثير ما تقل عن ذلك.» [4]

نودّ أن تقول في هذا السياق، أنّه للاحتفاظ بالمعلومات في الذاكرة قصيرة المدى لفترات أطول أو عدة دقائق لا بدّ تكرارها وترديدها، وهذا ما أكده (يوسف جاكبوز)في نهاية القرن التاسع عشر محاولا صياغة طريقة

[1] لورون بوتي: الذاكرة أسرارها و آلياتها ،المرجع السابق ،ص 30،31 .
[2] ينظر: لورون بوتي: الذاكرة أسرارها و آلياتها، المرجع نفسه،ص31 .
[3] ميري ورنوك: الذاكرة في الفلسفة و الأدب، المرجع السابق، ص32 .
[4] رجاء محمود أبو علام :سيكولوجية الذاكرة و أساليب معالجتها، المرجع السابق، ص126 .

لقياس القدرات الذهنية لتلاميذه، وتتمثل هذه الطريقة في عرض لائحة من العناصر على الشخص(أحرف، مقاطع، كلمات، أرقام)ومطالبته بترديد ما ورد في اللائحة بترتيب نفسه .ومن خلال ترديد محتويات هذه اللائحة بدون خطأ من قبل الشخص دليل على قدرته التذكرية.[1]

كما سمح مفهوم الاحتفاظ بالمعلومات الضرورية في الذهن بظهور لفظة أخرى ستستعمل بدلا من لفظة الذاكرة ذات قصيرة المدى، وهي ذاكرة الاشتغال التي تربط بين المعلومات الحاضرة والإجراءات المنبثقة ذات المدى الطويل، اللازمة لمعالجتها ويعرّفها عالم النفس(ألان بادلي)الذي يعتبر أوّل من صاغ هذا المفهوم الحديث لقوله: « إنّ هذه الذاكرة ستساعد على الاحتفاظ المؤقت بالمعلومات وعلى انتقائها واستخدامها أثناء إنجاز مختلف المهام المعرفية مثل (فهم النصوص والتعلم، وحل المشكلات، وخلال القيام بأنشطة" الفكر "عموما) » .[2]يتّضح من خلال هذا القول، أنّ ذاكرة الاشتغال تسمح بالاحتفاظ بالمعلومات بشكل مؤقت والقيام بمعالجتها أثناء مختلف المهام المعرفية.

ج–الذاكرة ذات المدى الطويل:

وهي لا تقتصر على تخزين الأحداث الدّالة التي تواكب حياتنا كلّها، بل تستخدم للحفاظ على معاني الكلمات وعلى المهارات اليدوية التي تمّ تعلّمها . وعليه تبدو قدرتها لا متناهية، وذلك بإمكانها الإستمرار أيّاماً وشهوراً وسنوات، بل على مدى الحياة .ومع ذلك لا يمكن إنكار ثغاراتها، كما يمكن أن تتراجع فعاليتها مع السنين .ومن الأهمية الإشارة إلى القول بأنّها بمثابة توال زمني لثلاث عمليات أساسية كبرى وهي :"التّرميز والتّخزين واستعادة معنى الشيء الذي يتعيّن تذكّره، مثلا:(يمكن ترميز كلمة ليمونة) بالطريقة التالية:(فاكهة كروية وصفراء).

[1] ينظر:لورون بوتي :الذاكرة أسرارها و آلياتها، المرجع السابق،ص32 ،33 .
[2] المرجع نفسه،ص34 .

فإذا عسرَ إسترجاع هذه الكلمة تلقائيّا فإنّه بإمكاننا استحضار مؤشّر منبثق من التّرميز(مثل فاكهة)،يسمح باستعادتها وعليه يمكن القول، أنّ فعالية الإستعادة تتوقف على عمق التّرميز، وبالتالي على تنظيم المعطيات .أمّا التّخزين فيعتبر عملية نشيطة للترسيخ، تجعل الذكريات أقل عُرضة للنسيان، والترسيخ بدوره يميّز ذاكرة الوقائع الحديثة العهد عن ذاكرة الوقائع القديمة المرتبطة بعدد كبير من المعارف القائمة سلفا، أمّا إستعادة ذكريات سواء كانت إرادية أو غير إرادية، فهي تستدعي آليات نشيطة وتستخدم مؤشرات الترميز" [1].

ومن ثمّ فإنّه يتوجّب عليا أن نذكر الخصائص التي تتميّز بها الذاكرة طويلة المدى :[2]

- "يمكنها الإحتفاظ بكمية كبيرة من المعلومات.
- لا يوجد مدى زمني محدد لقدرتها على الإحتفاظ بالمعلومات، إذ يمكن لهذه الأخيرة أن تظلّ مع الإنسان طوال حياته ويسترجعها كلّما أراد.
- تكون المعلومات أكثر ثباتا وأكثر قدرة على مقاومة عوامل الكفّ والتّشويش، ممّا يساعد على الإستمرار لفترات طويلة.
- تتميز بالقدرة على تنظيم المعلومات ممّا يساعدها على الإحتفاظ بها لفترات طويلة، ويسهّل على الفرد استرجاعها عندما يريد."

ولا يفوتنا أن ننبّه إلى شيء وهو أنّ الذاكرة سلاح ذو حدّين، ذلك باعتبارها مقرّ لذكرياتنا أوّلا، وثانيّا بوصفها مستودعا لأفعالنا الحركيّة.

إضافة إلى ما سبق، نجد "أن تولفنج(tulving،1983) ميّز بين نوعين مختلفين من أنظمة الذاكرة طويلة المدى إعتمادا على طبيعة المعلومات المخزّنة فيها وهي :ذاكرة الأحداث episodic Memory وذاكرة الدّلالات والمعاني semenati Memory.

[1] ينظر:لورون بوتي: الذاكرة أسرارها و آلياتها، المرجع السابق ،ص37،38 .

[2] ينظر:رجاء محمود أبو علام :سيكولوجية الذاكرة و أساليب معالجتها، المرجع السابق ،ص127 .

فهو يرى أنّ لكل نظام من هذه الأنظمة خصائصه المميزة؛ فذاكرة الأحداث هي بمثابة مفكّرة شخصيّة تعنى بالدرجة الأولى بالخبرات والذاكرة الشخصيّة، أمّا ذاكرة الدّلالات تشتمل كل المعرفة العامّة حول العالم بالإضافة إلى المعرفة المتعلقة بالمفردات والمفاهيم والأفكار"[1] .

ومن الأهمية الإشارة، إلى أنّه يوجد نوعان من التّذكر: [2]

1"-الذاكرة الاعتيادية العادية :وهي المتمثلة في المعرفة المكتسبة بواسطة الخبرة التي تولّدت من خبرة التعلّم أو الاكتساب، أي تذكر المهام البسيطة مثل الكتابة والتحدث اللّذين لا يقوم بهما الفرد ما لم يكن قد سبق له تعلّمها في طفولته ويستعيد تذكّرهما .فمثلا«عندما نكون قد تعلمنا أن نعزف مقطوعة موسيقية، يقال أنّنا نتذكرها، ولكنّ ربّما لا نتذكر الخبرات الخاصة بتعلّمها، فعزف المقطوعة الموسيقية التي يتمّ تذكّرها من منطلق أنّها معروفة عن ظهر قلب، تتّخذ شكل العادة، إذا أنّها تشترك مع العادة في اكتسابها عن طريق التّكرار .».

-2الذاكرة المحضة :هي النشاط الذي يقوم به الفرد لاستحضار خبرة خاصة، بمعنى أنّها استدعاء خبرة حالية بسبب خبرة سابقة في الماضي، مثلا« كأن تتذكر الآن أين قضيتنا *أجازاتنا الصيفية الأخيرة » ."

رابعا: فضاء الذاكرة عند إدوارد سعيد في كتاب خارج المكان:

تطوّر مفهوم الذاكرة في نظر الدّارسين، على الرّغم من أنّها لفظة مبهمة ومجرّدة، فاكتشفوا جمالياتها ومظاهرها وأهميتها الكامنة في الخبرة الإنسانية الممثّلة في السيرة الذاتية، ونجد هذه الصورة واضحة أكثر عند" إدوارد سعيد "في سيرته الذاتية " خارج المكان "حينما يتحدّث عن الذاكرة، ويعتبرها العمود الفقري لأيّ فرد، ذلك أنّنا نحتاج ذاكرتنا ونستخدمها في كل جزء من حياتنا اليومية، فكان جوهر القضية عند " سعيد "أنّ عمل الذاكرة

[1] ينظر: رافع النصير الزغول، عماد عبد الرحيم الزغول :علم النفس المعرفي، الشروق ،د.ط ،ص182 .

[2] ينظر: جيفري أ. دادلي: أسرار الذاكرة (كيف تضاعف قدرتك على التعلم)،تر:علي عفيفي، هلا النشر و التوزيع،د.ط،ص16 ،17 .

يدخل في أمور رئيسيّة أهمها مسألة الهوية...، فيقول:«لعبت ذاكرتي دورا حاسما في تمكيني من المقاومة خلال فترات المرض والعلاج والقلق .ففي كل يوم تقريبا،...».[1]

وفي هذا السّياق يضيف مؤكّدا على دور الذاكرة بقوله:«فالأكيد أنّ الذاكرة تشتغل بطريقة أفضل وبحرّية أكبر عندما لا تفرض عليها الأساليب أو النشاطات المعدّة أصلا لتشغيلها».[2]

فهذا يعني أنّ الناقد، يرى للذاكرة دورا أساسيّا في استجماع شتات الذكريات والتّجارب المختلفة والتوغّل فيها أكثر.

مؤكّدا على أنّه كلّما اشتغلت الذاكرة بحرّية وفاعلية أكبر، كلّما أدّت وظيفتها على نحو أفضل ببعث ما تدّخره من ذكريات.

ومن المفيد ،القول أنّ الذاكرة عند" إدوارد سعيد "اتّخذت مظاهر عدّة متمثلة (الذاكرة الفردية، والجماعية، النفسية،...)، ذلك باعتبار أنّ الذاكرة هي الدّاعم لأيّ خطاب سردي مهيمن والمؤسّس له .ممّا تقدّم يمكن لنا أن نتساءل :ما هي الذكريات الأكثر هيمنة في سيرة " إدوارد سعيد " "خارج المكان" ؟

وإلى أيّ مدى ساهمت الذاكرة في تصوير المسكوت عنه وإعادة خلقه؟ وأين يتجلّى عالمه المفقود على مستوى الذاكرة؟

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ،المصدر السابق،ص19.

[2] المصدر نفسه، ص19.

أ –ذاكرة السيرة الذاتية:

يعرّف " بريور"الذاكرة« بأنّها المعلومات المتعلقة بالذات».[1]

أي أنّ الذاكرة في نظره مرتبطة بالذكريات أو الأحداث الشخصية المتميّزة الخاصّة بالشخص نفسه، والتي عاشها في مرحلة ما من حياته، وأصبحت في تاريخه الشخصي .كما تعتبر هذه الذكريات بمثابة تمثّلات عقلية معقّدة لعدد متنوع من المعلومات الخاصة بأحداث معقّدة تعتبر متيسّرة بالنسبة إلى هذا الشخص.

ولعلّ ما يمكن إضافته، هنا، أنّها:« تعمل على حفظ الذكريات المهمّة على حساب الذكريات والتفاصيل الأقل أهميّة، والتي يعاد بناؤها كل وقت» [2].

فهذا يعني، أنّ هذه الذاكرة لا تحتفظ بكل الخبرات والمعلومات التي نمرّ بها في حياتنا، بل تحتفظ بالمهمّ منها والمفيد.

ويظهر هذا جليّا عند" إدوارد سعيد "الذي يعبّر عن تجاربه الشخصية في كتابه " خارج المكان"، وهو عبارة عن سيرة ذاتية، وهي موجودة في ثقافتنا العربية باعتبارها جنس أدبي مهمّ؛ يقدّم الكاتب، وخصوصا إذا كان كاتب حرّ وشجاع مثل " إدوارد سعيد "يكتب دون تحفّظ، فتصبح السيرة الذاتية لا تقدّم فقط سيرة الكاتب، ذالك أنّها حياة عامة مشتبكة بالواقع، ويظهر هذا بوضوح عند قراءتك مذكّراته، فتجده يكتب المرحلة الأولى من حياته؛ سنوات الطفولة والشباب، ولادته ونشأته في القدس، وشبابه في القاهرة وتنقّله بين مصر ولبنان« مع أنّ والديّ كانا يعيشان في القاهرة عام1935 ، فقد خطّطا لكي أولد في القدس لأسباب تكرّرت على مسامعي خلال الطفولة ».[3]

[1] بريور نقلا عن محمد قاسم عبد الله: سيكولوجية الذاكرة(قضايا و اتجاهات حديثة)، علم المعرفة، د.ط،2003،ص91.

[2] محمد قاسم عبد الله: سيكولوجية الذاكرة(قضايا و اتجاهات حديثة)،المرجع نفسه، ص25.

[3] إدوارد سعيد: خارج المكان، المصدر السابق،ص 45.

ويعني هذا، أنّ ولادته في القدس كان مخطّطا لها من قبل والديه، كما كان لهما أيضا دور في عدم الاستقرار في مكان معين، ومساهمتها في ترحاله عبر أمكنة متعدّدة (القدس، القاهرة، لبنان)، بقوله:« بعد الحرب العالميّة الثانيّة، شكّلت زياراتنا إلى القدس، وإلى صفد خصوصا، فرصة للإفلات من النظام الآخذ بالإطباق عليّ في القاهرة بفضل تعزيزات يومية » [1].

كما تطلّ على تفاصيل هزيمة العرب(1948) ، وسقوط القدس بيد الصّهاينة، والواقع الاجتماعي والسّياسي، والأحدث الجسيمة بمصر «يغمرني الآن إدراك لهول التفكّك الذي عانته عائلتنا وأصدقاؤنا، وقد كنت بالجهد واعيا له، أنا الشّاهد الذي لم يشاهد شيئا في العام(1948)، وحين كنت صبيا في الثانية عشر والنصف في القاهرة، غالبا ما كنت ألاحظ أمارات الحزن والحرمان على وجوه وفي حيوات أناس عرفتهم سابقا...» .[2]

محاولا" إدوارد سعيد "العودة إلى الأمكنة التي احتضنت تجاربه الأولى، فيحكي أنّه قام بزيارات كثيرة للقاهرة والقدس في قوله: «وبعد عشرين عاما من ذلك، كنت في زيارة إلى القاهرة وقد باشرت العمل على هذه السيرة الذاتية،...»[3] .

ويقول أيضا: «ذهبت مع زوجتي وولديّ إلى فلسطين في أوّل زيارة لي منذ25 سنة وكانت تلك زيارتهم الأولى .وفي تموز1993 ، زرت القاهرة بمفردي متقصدا، خلال تنفيذي إحدى المهمات الصّحفية، أن أزور مطارحي القديمة » [4].

إنّ هاذين القولين يوضحان أكثر، حرص" إدوارد سعيد "على زيارة الأمكنة التي أمضى فيها طفولته المبكرة، من أجل استحضار هذا الزمن، والذي يرى بأنّ هذا الزمن لن يعود فيقول: «فإلى سن الستين، لم أكن

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ، ص46.
[2] المصدر نفسه، ص153.
[3] المصدر نفسه، ص165.
[4] المصدر نفسه، ص269.

أطيق مجرد التفكير في ماضيّ، خصوصا ماضيّ في القاهرة والقدس، وقد احتجبت المدينتان عني لمجموعتين مختلفتين من الأسباب... ».[1]

أعطاه المرض ذريعة، وفجرّ عنده الرغبة في العودة إلى الذات لأنّ ذاته كانت متشظاة، فتطرّق إلى المرحلة الأخيرة من مرضه؛ وكيف كان يكافح لمواجهة هذا المرض، بقوله: «ولما كان هذا الكتاب أحد الأجوبة عن مرضي، فقد وجدتُ فيه نوعا جديدا من التحدي، لا مجرد نوع جديد من اليقظة، وإنّما مشروعا أبتعد بواسطته أبعد ما أستطيع عن حياتي المهنية والسياسيّة.» [2].

يمكن القول، اعتماد على ما تقدّم، أنّ هذا الكتاب ساعده على مقومة ألمه والتحمل لفترة خمس سنوات، مستعرضا ما قاساه في مشوار حياته «هذه التفاصيل مهمة لأنّها الوسيلة التي أفسّر بها لنفسي وللقارئ مدى ارتباط زمن هذا الكتاب بزمن مرضي، بحقباته وطلعاته ونزلاته وتقلّباته كافة .فمع تزايد ضعفي، وتكاثر الالتهابات وطفرات الآثار الجانبية للمرض، ازداد اتكالي على هذا الكتاب وسيلة أبتني بها لنفسي شيئا ما بواسطة النثر، فيما أنا أعارك في حياتي الجسمانية والعاطفية هواجس التدهور وآلامه»[3].

نلاحظ من خلال ما تقدّم، أنّ كتاب " خارج المكان " يركّز على الجانب الإنساني في شخصيته " إدوارد سعيد"، وأنّ تشظي الذات عنده أنتجت كل هذا الإبداع الفكري والفني والإنساني.

فيقول «ثمّة موضوعان ضامران في كتابتي هذا الكتاب .أوّلهما، انبثاق ذات ثانية كانت مدفونة لمدة طويلة جدا تحت سطح خصائص اجتماعية، غالبا ما تكتسب بواسطة العادة والإلزام، وتنتمي إلى تلك الذات التي حاول أهلي تركيبها؛ وأعني بذلك " إدوارد ... "والثاني، هو الكيفية التي أدّى بها عدد متزايد جدا من المغادرات

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص270.
[2] المصدر نفسه، ص270 ،271.
[3] المصدر نفسه ، ص269.

إلى زعزعة أركان حياتي منذ بداياتها الأولى» [1].صرّح" إدوارد سعيد"في كتابه،أنّه ركّز على فكرتين أساسيتين هما:تأكيد الهوية العربية المقدسية،وحياة المنفى التي عاشها في الولايات المتحدة،اللتان أثّرتا في مسيرته الفكرية و النقدية.

ب–الذاكرة الفردية :

يرى " أغسطين "أنّ هناك ثلاث سمات تؤكّد الطابع الخاص جوهريا للذاكرة :

"أوّلا، تبدو الذاكرة إفرادية جذريا :ذكرياتي ليست ذكرياتك .ثانيا، إنّ الذكريات تتمفصل بصيغة الجمع وبصيغة المفرد بشكل رئيسي في السرد حيث هناك الاختلاف والاستمرارية، وبهذا فإنّي أمضي إلى الخلف نحو طفولتي .ثالثا، إنّ الذاكرة هي التي يلتحق بها اتجاه مرور الزمان .بمعنى أنّ هذا الاتجاه يكون من الماضي إلى المستقبل"[2].

ويصف " جون إيكيز "الذات بقوله: «وحدة التجربة الناجمة من أنّ الذاكرة تربط فيما بينها حالات من الوعي مستشعرة في لحظات متمايزة، موزّعة على المدة الزمنية كلها لحياة » [3].

يتبيّن لنا من خلال هذا القول، أنّ الذاكرة ترتبط بحالة من الوعي للتجربة المعاشة على مدى الحياة.

وفي هذا السياق، يضيف " بول ريكور "قائلا: «إنّ الذاكرة الفردية تتملك نفسها انطلاقا من تحليل مرهف للتجربة الفردية بالانتماء إلى مجموعة، وعلى أساس التعليم الذي نتلقاه من الآخرين .»[4]

بمعنى، أنّ الذاكرة الفردية تنبني عن طريق الذكريات المتبادلة والمشتركة، وعن طريقها ننشئ ذاكرتنا.

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص 271.

[2] ينظر:بول ريكور:الذاكرة التاريخ النسيان، تر: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة،فرنسا، ط1، 2000، ص156.

[3] جون إيكيز نقلا عن جويل كاندو:الذاكرة و الهوية، المرجع السابق، ص75.

[4] بول ريكور: الذاكرة التاريخ النسيان، المرجع نفسه، ص190.

كما يضاف إلى ذلك اعتبار آخر، يتمثل في قول " شارل بلونديل":«إنّ الذاكرة الفردية تمثل الشرط الضروري والكافي للتذكر وللتحقق من الذكرى » [1] .

وعلى هذا الأساس، فإنّ الذاكرة الفردية في نظر " بلونديل "تتيح للفرد أن يقدّم صورة عن حياته مرورا بمراحلها عبر الزمن، كما تمثل شرطا ضروريا لتحديد هوية الفرد.

وهذا ما عبّر عليه " إدوارد سعيد "في سيرته، مستهدفا إعادة بناء النظر إلى بعض القضايا الخاصة والعامة، باعتبارها سجل شخصي، باحثا عن الهوية الفردية كمشروع ذاتي تتداخل حدوده بين الخاص والعام ومتغيراتهما.

وعودته إلى الطفولة ما هي إلاّ محاولة لإعادة بناء الذات، وإبراز خطوط التصدع والانكسار في هويته التي أحدثت اضطرابا داخليا متراكما، بمزج ذكرياته الشخصية بأهله،وبمعلميه بالمدرسة،ذلك أنّ ذكرياته كما يعرضها، ليست مجرد عودة إلى الماضي ونقل له، بل رغبة وفعل؛ هذه الأخيرة ارتبطت بشعوره الدائم بعدم الاستقرار، وتساؤلات حول الهوية .انطلاقا من تربيته في مدارس كولونيالية، وعيش تجربة النفي من جهة، ورؤيته لأمّه من جهة أخرى.

مبيّنا أوجه العلاقة بينه وبين أمّه، من حيث تماثل المصير بينهما على مستوى المرض، فقدان الوطن، العلاقة الملتبسة بأمريكا في قوله «كانت فلسطين قد سقطت ونحن غافلون عن حقيقة أنّ حيواتنا تقودنا إلى الولايات المتحدة حيث سنعيش أنا وأمي ونصاب بمرض السرطان الذي سوف ينهي حياتينا في" العالم الجديد"»[2] .

وتأكيده على عامل الوراثة الأمّومي وقوّته في قوله «المؤكّد أنّ أمّي كانت الرفيق الأقرب إليّ والأكثر حميميّة خلال ربع قرن من حياتي .وإنّي أشعر أنّي مطبوع بالعديد من وجهات نظرها وعادتها التي لا تزال تسيّر حياتي ...

[1] شارل بلونديل نقلا عن بول ريكور: الذاكرة التاريخ النسيان، ص191.

[2] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص174.

واهتمام عميق بالموسيقى.واللغة وبجماليات المظهر والأسلوب والشكل، وربما أيضا من ميل متضخّم إلى الحياة الاجتماعية بتياراتها وملذاتها» [1] .

ويضيف مؤكّدا على ذلك الشعور،« والآن أخمّن أنّ عجزي عن النوم هو آخر ما أورثتني إياه...» .[2]

وهذه الصفات تأكيد لانتمائه الوراثي الذي يجمعه بأمّه، فهي الرفيق العاطفي والتي تمنحه العناية والاهتمام، مع دعمه نفسيّا،« ذلك أنّ شعوري بأنّي أبدأ حياتي بأمي وبها أنهيها، وبحضورها الداعم وبطاقتها غير المحدودة على تدليلي–أو هذا ما كنت أتخيّله–كان بمثابة الضمان الرفيق والخفيّ لحياتي خلال سنوات وسنوات ».[3]

وممّا زاد من تعلّقه بأمّه، رفضها لإرسال ابنها الوحيد إلى أمريكا بعيدا عنها، «علاقتي المعقدة بأمي التي لم تنفكّ تذكّرني بأنّ هجري إيّاها هو الأمر الشادّ العظيم (الجميع أبنائهم حولهم إلّا أنا) وإن يكن قدرا محتوما على نحو فاجع ».[4]

ويشير إلى أنّه تعرّض إلى رقابة عائلية قاسية، وذلك من خلال الوقوف عند التفاصيل الدقيقة لعلّله الجسدية، معبّرا عن معاناته وصدمته من صورة جسده في عيون أهله، ليشكل بذلك جسده المشوّه، نوعا من التنقيب عن ماضيه المسنيّ المقموع «على أنّ أقصى النقد هو ما طاول وجهي ولساني وظهري وصدري ويدي وبطني ...سنوات بذلها أبي من المحاولات لجعلي " أقف مستقيم القامة " ."الكتفان إلى الخلف "كان يقول "الكتفان إلى الخلف"، فتضيف أمّي بالعربية :لا تسترخي... ».[5]

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ص ، 35 ،36.
[2] المصدر نفسه، ص358.
[3] المصدر نفسه، ص355.
[4] المصدر نفسه، ص 272.
[5] المصدر نفسه، ص94 ،95.

ويستوقفنا في كيفية نظره إلى أخواله في قوله «أضف إلى هذا أنّ علاقتي بشقيقتيّ الكبيرتيين، جين وروزي، كانت في العادة شائكة وخصامية، وقد شعرت بأنّي فقدت تدريجيا الحميميّة، بل الوفاق اللّذين كانا قائمين بيننا»[1].

فهي علاقة مضطربة، وذلك وفقا للنظام الذكوري التقليدي العائلي ومعاييره المحافظة التي تفصل بين الجنسين، والتكتّم الشديد على القضايا الجنسية بحسب تعبيره «قيدّني أبي وأمي بقيد مزدوج إذ ظلاّ يلحّان عليّ بالقول إنّي مسؤول عن شقيقاتي، بصفتي رجل العائلة، مع أنّ شقيقاتي الأربع كنّا مساويات لي في كافة المجالات ...، إذ كنت أشعر بأنّ شقيقاتي حظين بعناية أكبر من التي أحظى بها »[2].

وهذا نشب حواجز شائكة فيما بينهم لشعوره بأنّ شقيقاته مميّزات عنه من قبل الأم والأب، وربما إسترجاع هذه الذكريات المؤلمة عن علاقته بأخواته ما هيّ إلاّ محاولة لإعادة تملّك تلك الحيّز.

أمّا نظرته للنّساء فكانت متوقّفة عند حيثيّات الكبت الجنسي وآثاره، خوفا من خرق النظام العائلي المنضبط أخلاقيّا «وسرعان ما تجسّدت تلك الحالة الخطرة في إغراءات القاهرة، الجسدية منها والمعنوية، تناديني من خلف أسوار ذلك الروتين الحياتيّ المبرمج بعناية والمدار بصرامة شديدة »[3].

ويضيف مؤكّدا« كان الجنس ممنوعا في كل مكان... »[4].

مستحضرا قصة حبّه مع" إيفا"، هذه العلاقة التي باءت بالفشل «دامت قصة حبّي لإيفا سنتين إضافيتين، كنت أرفض خلالهما، بطريقة طفولية الإعتراف بأنّ الزواج هو عندها المآل المنطقي لعلاقتنا»[5].

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص 218.
[2] المصدر نفسه، ص333 ،334.
[3] المصدر نفسه، ص 54.
[4] المصدر نفسه، ص100.
[5] المصدر نفسه، ص312.

وبالرغم من أنّه يقدّم هذه التفاصيل، إلاّ أنّ تحليله للحبّ ليس ما يريد أن يقدّمه، وإنّما أراد أن يقدّم فهما لعلاقاته بالجنس الآخر(النساء)مبرزا المسافة الزمنية والمكانية والنفسية بينهما .وبمعنى آخر أراد حصر علاقاته الغرامية ببعده المأساوي المبني على إشكالات يصعب حلّها، باحثا عن الطمأنينة المفقودة داخل شخصيته المتحدّية لمعرفتها ولمعرفة الآخر، بأطياف هويته الأصلية.

ج–الذاكرة الأسرية:

يرى " موريس هالبوكس "أنّ ذاكرة الأنساب والذاكرة الأسرية بأنهما يمثلان «الرابطة الحية بين الأجيال» [1]

بمعنى أنّهما الرابط المشترك لتثبيت الذكريات والتحقق من الهوية الخاصة بهذه الأسرة .ولا يمكن قطع خيط الذاكرة الأسرية بوصفه حاملا أبديا.

وتبيّن " آن موكسل "بيانا جيدا كيف أنّ الذاكرة الأسرية تستخدم مبدأ منظما لهوية الفرد وفق طرق مختلفة .والمتمثلة في ذكريات الإشتراك (وجبات، أعياد أسرية)،والإحتفاظ بالمعارف والمعالم الأسرية (الصور الفوتوغرافية، أسماء الأسرة، الأشياء،...)وهذه كلها تمثل أبعاد أساسية للشعور بالإنتماء للروابط الأسرية التي تجعل صلة القرابة واحدة"[2].

وهذا ما نلمسه في سيرة" سعيد "الذي عاد من خلالها محاولا محاكاة تجارب الماضي والتنقيب في العالم الذي تنتمي إليه عائلته وبيئته وذاته الأوّلية العربية .فهو المولود في القدس من أب فلسطيني يحمل الجنسية الأمريكية« ولد أبي في القدس عام 1895 » [3].

[1] جويل كاندو: الذاكرة و الهوية، المرجع السابق، ص177.

[2] ينظر: جويل كاندو: الذاكرة و الهوية،المرجع نفسه، ص181 ،182.

[3] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص29.

ويواصل حديثه عن كيفية اكتساب أبيه الجنسية الأمريكية« وقد اكتسب أبي المواطنة الأمريكية لأنّه عاش في الولايات المتحدة الأمريكية وخدم في الجيش خلال الحرب العالمية الأولى» [1].

وأمّ فلسطينية تحصلت في طور متأخر من حياتها على الجنسية اللبنانية «وقد ولدت في الناصرة...، أي أنّها فلسطينية مع أنّ أمها منيرة لبنانية » [2] .

ليدرك في بداية حياته أنّ لديه هوية منقسمة والتي بدأت مع ماضي والديه «وبدا لي أنّ الإشكال يبدأ مع ماضي والدي واسميهما» [3].

لتنبني لديه أسئلة عرقية حادّة بلغت حدّ الارتباك الذي ما انفك يلازمه لسنين، متصل مباشرة بمسألة الانتماء والتجدر العرقي، محاولا أن يستجمع عناصر تاريخيه العائلي ليعيد تركيبه بشيء من الإنتظام، إلاّ أنّ هذا لم يوفر له أيّة طمأنينة أو سكينة، لكون الصورة لم تكن واضحة على قدر كبير«افترضت وجود تاريخ عريق لعائلتي في القدس، وبنيت افتراضي على الطريقة التي كانت عمتي نبيهة وأولادها يحتلون فيها المكان... ».[4]

ممّا زاد من إضعاف شعوره بالانتساب إلى البيت والعائلة بوصفهما الملجأ الوحيد الآمن، ليصعب عليه لملمة شظايا نسبه «تخيم الظلال نفسها على أصل جدتي لأبي، اسمها حنة، وهي من عائلة الشماس .» [5]

ويضيف قائلا: «كان جدي من آل إبراهيم ولم يكن أحد يذكره بالاسم باستثناء أمي، التي لم تعرفه أصلا لكنها كانت تسميه " أبو أسعد "ومن هنا عرف أبي باسم وديع إبراهيم.» [6] ،وهدفه من التركيز على الشجرة العائلية ومختلف وشائجها لبيان أصله ونسبه الذي أضحى متشظيا.

---

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص28.

[2] المصدر نفسه، ص27.

[3] المصدر نفسه، ص28.

[4] المصدر نفسه ، ص30.

[5] المصدر نفسه، ص29.

[6] المصدر نفسه، ص29.

ولا ينسى التركيز على طابعه المشترك الذي تمّ زرعه في مخيلته من خلال الأعياد الأسرية التي يستعيدها بوجوه شتى، وفي مراحل مختلفة من سنواته «أيام الأعياد كان محتوما أن نعرج على الأهرام في طريقنا إلى الصحراء الغربية، حيث نتوقف عند نقطة غير معينة... »[1] .

فكان لهذا أثر بليغ في انفتاح وعيه على التجارب الأسرية، والمراد منها تمثيل الأنا عرقيا، وهذا ما جعل منه أكثر استقلالية وأكسبه وعيا لنمط حياته وتكوينه وتربيته «في الأماسي والأعياد، كان يستغني عن السائق ويأخذنا في مشاوير السيارة ...نتجول فيها كما يحو لنا، نأكل الساندويتش هنا أو نقضم تفاحة هناك، على مدى ساعتين أو ثلاث ساعات.» [2]

باحثا بشكل أو بآخر عن نفسه ونسبه المتجذّر في الأسرة، التي كانت في مركز ذكرياته وتجسير المسافة بينهما والتأقلم مع عناصرها، فلم يكن له من خيار غير السعيّ إلى الاحتفاظ بالمعالم الأسرية التي تقوّي شعوره بالذات؛ وإعادة بناءها من خلال الصور التي ظل يحملها عبر تفكيره الممتد، والتي ربما ساهمت في صقل روحه وشعوره على حدّ سواء بالانتماء و اللاّإنتماء، وهذا ما نلمسه ونستشفه من خلال الفصل الذي خصصه لصوره العائلية واعيا لما يعنيه تقديم صورة تمثل شيئا ما،صورة« والدي وديع سعيد خلال خدمته في" فوج التدخل الأمريكي "بقيادة الجنرال بيرشنغ، فرنسا،1917. »[3]

صورة لـ «منظر خارجي للفرع الرئيسي في القاهرة ل "شركة الراية للقرطاسيات "التي أسسها وديع في شارع الملكة فريدة .» [4]

فكانت هذه الصوّر وسيلة من وسائل بناء هوية الذات، بأنّها المرجعية التي يرجع إليها في فهم هوية الأب، واستيعاب تمثلاتها لذاته.

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص49.
[2] المصدر نفسه، ص48 ،49.
[3] المصدر نفسه ، ص225.
[4] المصدر نفسه، ص226.

ليسلّط ضوءه الكاشف على الصور التي تجمعه مع أفراد عائلته، وما تحيل إليه من تشارك وتحاور أسري عرقي «أنا في سن الواحدة مع أمي في حدائق مينا هاوس. »[1]

« مع أبي على شاطئ على شاطئ الإسكندرية 1936 »[2].

«فوق أحد الأهرامات خلال نزهة عائلية إلى الجيزة1939» .[3]

« مع شقيقتي روزي في الزيّ الفلسطيني التقليدي، القدس،1941 »[4]

فكانت هذه الصوّر ترجمة لذاته، بحيث تجيب عن معظم أسئلة الشك الدائم والمستمر بأنّه خارج المكان، والتي جسّدت في مسيرته الشخصية، محاولا إدراك تاريخه العائلي العرقي، بما أنّه هو مسار متواصل من معرفة الذات وتحقيقها.

د–الذاكرة الجماعية :

"لقد تبنّى " هاليفاكس "فرضية أساسية في جميع أعماله، وقد كان يركّز في ذلك على فكرته الأساسية : الذاكرة تقوم على أساس اجتماعي، وليست على أساس فردي، فهو ينظر إلى أنّ ذكرياتنا ليست حوادث نفسية محضة، اجتماعية ترتبط بالدماغ، بل هي تحديد وبناء الحوادث بواسطة الأطر التي يمدّنا بها المجتمع .فالآخر هو الذي يدفعنا إلى التّذكر لأنّني في أغلب الأحيان عندما أتذكر فإنّ الغير هو الذي يدفعني إلى ذلك،لأنّ ذاكرته تساعد ذاكرتي، كما أنّ ذاكرتي تعتمد على الجماعات التي أسمو إليها، فهي التي تقدّم كل الوسائل التي أستعيد

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص227.
[2] المصدر نفسه، ص228.
[3] المصدر نفسه، ص229.
[4] المصدر نفسه، ص231.

بها الذكريات، والتي تنبأ تلقائيا من اجتماع الأفراد، وأنّ إتباع الذاكرة الجماعية هو في واقع الأمر رهين بإتباع الذكريات الفردية". [1]

ولعلّ ما يمكن إضافته، هنا، ما جاء به "هاليفاكس "بقوله: «لا توجد ذاكرة ممكنة خارج تلك الأطر الرابطة التي يستخدمها الأفراد داخل المجتمع لكي يثبتوا ذكرياتهم ولكي يستعيدوها من جديد. ». [2]

ومفاد القول، أنّ الناس الذين يحيون حياة اجتماعية تساعدهم الذاكرة على استرجاع وتذكر أغلب الأحداث التي جرت في الماضي وربطها بالحاضر، كما نجد أيضا اللغة تساعدهم في فهم المعاني والكلمات التي يتواصلون بها، والتي تساهم في استحضار تلك الذكريات في إطار الجماعة، والتي تمكّننا في كل لحظة من إعادة بناء ماضينا واسترجاعه من جديد.

فقضية هذه الذاكرة عند" إدوارد سعيد "ليست من القضايا السهلة الإمساك، وذلك لأنّ هويته متشبّعة وموغلة في الارتباط بالقضية الفلسطينية، فذاكرته مرتبطة بشكل مباشر بذاكرة الوطن .وقد أدرك ذلك منذ صغره، فلم يكفّ عن التفتيش في داخل نفسه عن كيانه الحقيقي، وممّا زاد عمق المأساة لديه كفلسطيني، مدركا لمعالم الأزمة وما يحيط بهم من أمور غامضة، وتعقيدات الصراع مع الصهاينة.

فهو يروي بالأساس حياة الفلسطينيين، مؤكّدا على فلسطينيّته، ونضاله المستمر في التحدّث باسم الكثير من الفلسطينيين اللاجئين والمنفيين في جميع أنحاء العالم، محاولا إثبات هوية قوميّة أصبحت صعبة المنال« ...،لا من مجرّد فلسطينيين يشاطروني الشعور بأنّ نشأتهم وهويتهم التالية هما بمثل ارتباك الهوية التي أصفها في مذكرتي أو بمثل تعقدها على الأقل» [3] .

[1] ينظر: يان أسمن: الذاكرة الحضارية(الكتابة و الذكرى و الهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى)،تر: عبد الحليم عبد الغني رجب،حقوق الترجمة و النشر بالعربية محفوظة المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة، ط2003،1، ص63.

[2] هاليفاكس نقلا عن يان أسمن: الذاكرة الحضارية(الكتابة و الذكرى و الهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى)، المرجع نفسه، ص63.

[3] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص11.

إنّ حرب 1967 هي من جذبته إلى البحث عن هويته العربية وتمثّلها، والتي تظهر عنده في الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني من خلال تساؤلات عن الهوية الجماعية «لم أعد الإنسان ذاته بعد العام .1967 فقد دفعتني صدمة الحرب إلى نقطة البداية، إلى الصراع على فلسطين فدخلت من ثمّ إلى المشهد الشرق أوسطي المتحوّل حديثا بوصف جزءا من الحركة الوطنية الفلسطينية... »[1].

يتّضح من خلال هذا القول أنّه، بعد هزيمة 1967 أصبح يخاطب الجمهور الأمريكي، طامحا إلى أن يصبح صوتا فلسطينيّا، مطالبا الاعتراف بالحقوق المشروعة لشعبه، جاعلا من ذلك نافذة تطلّ على عمق القضية، لتصبح حياته لها رابط مشترك، ويصبح الفرد هو الجماعة.

ويشير بوضوح شديد إلى مخطّط سياسة الاستعمار الخطرة جدّا، والمتمثلّة في تعريّة الشعوب ثقافيّا، وتحويل أفرادها وجماعاتها إلى مجرد رعايا ضمن النظام الكولونيالي «فقد بتنا ندرك جميعنا أنّنا دونيّون نواجه قوة كولونيالية جريحة وخطرة بل وقابلة لأن تؤذّينا،...». [2]

ويبدو أنّ جنسيّته الأمريكية وثقافته، لم تستطع أن تلغي الهوية الأصلية الكامنة فيه، واصفا تغيّر هوية المكان من خلال الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين «اليوم أضحت البورة حديقة عامة، والمنطقة المجاورة للبيت حيّا فخما يسكنه أغنياء اليهود. »[3] .

ويعني ذلك، أنّ المنزل العائلي والحيّ الذي كان يلعب فيه تغيّرت معالمه، وهذا ما دفعه إلى الاعتناء أكثر بتأصيل قضية الانتماء والهوية في سيرته.

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص356.
[2] المصدر نفسه، ص233.
[3] المصدر نفسه، ص46.

هـ–الذاكرة النفسية :

يعرّفها " هرمان ابنجهاوس "بقوله: «على رغم أنّ النظرة الموجهة داخليا عقليا، قد لا تستطيع أن تجدها – أي الإحساسات والمشاعر والأفكار –فإنّها مع ذلك، لا تتلاشى أو تلغى تماما ولكنها تظل موجودة وتختزن في الذاكرة ... ولكنها تتكشف من خلال الآثار التي تأتي إلى معلوماتنا، على نحو مماثل للطريقة التي نستدل بها على وجود النجوم وراء الأفق... ».[1]

يتبيّن هنا، أنّ الإحساسات والمشاعر والأفكار، التي نعيها في وقت ما تظلّ متخفية في مكان ما في الذاكرة حسب " ابنجهاوس. "

وممّا ينبغي التذكير به «إنّ الأحداث والخبرات المشحونة انفعاليا (بانفعالات سلبية أو إيجابية)يسهل تذكرها أكثر من الخبرات التي لم ترافقها مثل هذه الانفعالات. ».[2]

يمكن القول، اعتمادا على ما تقدّم، أنّه توجد علاقة بين الوقائع الانفعالية وأداء الذاكرة مما يسّهل التعرف والتوّغل أكثر في الذكريات المكبوتة.

وهذا ما صرّح به "إدوارد سعيد "في سيرته، أنّ ما ورد فيها لا يسرّ به المرء إلاّ لطبيبه النفساني بقوله «أنّ الكتابة الصريحة عن الذات نادرة في تراثنا .وإنّي لآمل أن يسهم هذا الكتاب في تنمية هذا التقليد .فإذا تحقّق ذلك، بلغت الغاية في الرضا. »[3]

وبداية من خلال الصورة المخزنة في علاقته بأمّه، فهي علاقة ملتبسة، فالأم مثّلت محورا إستراتيجي لحياته، وفي قطبيها الإيجابي والسلبي، بقوله: «فعندما كنت أعاني تحولات جذرية– فكرية أو عاطفية أو سياسية–كنت

[1] محمد قاسم عبد الله:سيكولوجية الذاكرة(قضايا و اتجاهات حديثة)، المرجع السابق، ص10

[2] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص 12.

متأكدا من أني أستطيع الاعتماد اعتمادا كاملا على شخص أمي المثالي وصوتها واهتمامها وحنوّها الأمومي الغامر».[1] .

يتبيّن من خلال هذا القول، أنّ علاقته بأمّه كانت أكثر قربا وحميميّة، والتي كرّس لها حيّزا كبيرا في سيرته، لاستحضار اللحظات الجميلة التي جمعتهما، وحرصه الدائم على الاحتماء بها، وتحدّثه عن الحب الجميل في علاقته بأمّه، المرأة المثقّفة التي كانت تأخذه إلى المسرح وحفلات البيانو الموسيقية «فأشعر إذ ذاك أنّها تخاطب ذاتي الفضلى، الأقل إعاقة، ذاتي التي لا تزال نظرة ربما على أمل أن تنتشلني من جنوح حياتي المدمن، وقد أثقلتها الهموم والهواجس التي بتّ متيقّنا من أنّها تهدّد مستقبلي».[2]

فهو هنا يحاول تبديد شبح الوحدة الذي راوده في حياته، محاولا خلق حالة من التوازن والملائمة، من خلال علاقته وارتباطه وصلته العميقة مع أمّه.

وعندما تعرض لحادثة سير في سويسرا سنة1957 ، دفعته غريزته إلى الاتصال بأمّه ليسرد لها ما وقع له «...،ودفعتني غريزة لا تخطئ إلى أن أخابر أمي التي صدف وجودها أنداك في لبنان ... كانت أول إنسان شعرت بالحاجة إلى أقص عليه قصتي.»[3]،يتّضح من خلال هذا القول،أنّ غريزة" إدوارد سعيد "هي التي دفعته لتواصل مع أمّه بالرغم من بعد المسافة؛أي أنّ الجانب اللاشعوري عنده طفى وغلب على الجانب الشعوري،وذلك بسبب حنينه واشتياقه لأمه التي تمثل الوطن والأم البيولوجية في الوقت ذاته .

" فإدوارد سعيد "صادق ولديه حسّ العدالة، وهو إنسان نزيه، فالصدق كان عالي جدا، فحتى أن صورة الأب كانت عبارة عن علاقة مشاعر مختلطة متناقضة، أحيانا هناك حب، وأحيانا أخرى صرامة،« هكذا يتحوّل أبي إلى ربّ عمل مهيب، أي إلى شخصية ما لبثت أن كرهتها وخشيتها، لأنّه كان يبدو فيها مثل نسخة أضخم

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص355.
[2] المصدر نفسه، ص81.
[3] المصدر نفسه، ، ص355.

وأقل آدميّة عن الرجل الذي يشرف على حياتي ».[1] يعني هذا، أنّ شخصية الأب كانت مهيمنة وتأثيرا على طفولته ونشأته.

فهو تربى في جوّ يشبه العسكري، ذلك أنّه يجب أنّ يتعلم بساعات معينة، الموسيقى، الثقافة الدينية،...،«هكذا أصبحت " إدوارد "مخلوق والديّ، تراقبه في عذاباته اليومية ذات داخلية مختلفة كليا ...وكان "إدوارد "أساسا، هو الابن ثم الشقيق وأخيرا الصبيّ الذي يرتاد المدرسة ويفشل في محاولاته التقيّد بالأصول.. ».[2]

فصار يعيش في الواقع في ظل المتناقضات والأضداد التي ولّدت لديه ظواهر سيكولوجية انفعالية، فكان من الطبيعي أن تتولّد في باطن حياته النفسية والوجدانية مشاعر متباينة، وذلك بسبّب تداخل هذه الظواهر النفسية الناتجة عن علاقته الأسرية، وخاصة أنّ والده لم يكن حريصا على غرس بذور الانتماء العربّي لدى ولده «ومن بين القصص المفخّمة والمعلّبة التي روّيت لي المرة تلو الأخرى خلال نشأتي قصة مجيئه إلى الولايات المتحدة .»[3]

ليجد نفسه بعد وفاة والده أمام طبيب نفساني «وبعد عشرين سنة على وفاته، عندما وجدتني في جلسة تحليل نفسانيّ أركّز على تذمراتي من موقف أبي تجاهي، اختبرت نوعا من التجلي»[4] .

لجأ إلى الأطباء النفسيين، ليعرف أين تكمن شخصيته الحقيقية وأين يختفي مكانه .وهو ما دفعه للاعتراف بوقوعه "بعقدة أوديب "من خلال تعلّقه الشديد والخاص بأمّه، ونفوره من أبيه، لأنّه يذكّره دائما بالواجب والمسؤولية، فكان العذاب الأكبر في حياته «ولعلني قطعت قنوات الاتصال بيننا لدوافع أوديبية، أو لعلّ أمّي هي التي سحبت البساط من تحت قدميه، بمهارتها في التلاعب على الالتباسات... ، فها أنّ الفجوة القائمة بيني وبين أبي قد ختم عليها بالصمت المديد ».[5]

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص48.
[2] المصدر نفسه، ص43.
[3] المصدر نفسه، ص30.
[4] المصدر نفسه ، ص321.
[5] المصدر نفسه، ص321.

ففي نهاية السيرة نجده يحلّل علاقته بوالديه بشكل صريح وعلني، انطلاقا لما تحمله الطفولة من دلالات البراءة، والتي تظهر من خلال عفوية التصرف وملامح البراءة وشغفه في الحياة وطموحاته.

و–ذاكرة الأماكن :

"والتي تتمثل في أعمال مهمة تتعلق بمعرفة الجهة والتنقل وأوّلهما السكن .وذلك من خلال تذكر الأماكن التي تمّ السفر إليها وزيارتها وبهذا فإنّ الأشياء التي تمّ تذكرها ترتبط داخلياّ، وجوهريا بأماكن معينة"[1].

وعليه فإنّ طبيعة العلاقة الموجودة بين الذكريات وبين الأماكن متمثلة في القرابة التي تطرح بدورها قضية تعيين التأريخ، وتحديد المكان، اللّذان يشكّلان ظاهرتين متساندتين .وإلى مثل هذا الفهم يذهب " برغسون "في كتابه (المادة والذاكرة) بقوله: «نتصور ذاكرتين مستقلتين نظريّا ثم يقول :إنّ الأولى ستسجل بشكل صور– ذكريات كل أحداث حياتنا اليومية كلما جرت –وهي لن تهمل أيّ تفصيل، وستترك لكل واقعة، وكل بادرة مكانها وتاريخها » .[2]

يتّضح لنا من خلال هذا القول، أنّ مجهود الذاكرة كثيرا ما يتمثل في قسم تعيين التاريخ والمكان.

وفي هذا السيّاق، يضيف " أرسطو "قائلا«إنّ المكان يشكل الصورة الفارغة لحجم معين، إنّ بعض هذه الأماكن المميّزة هي التي ندعوها مأثورة، جديرة بالذكر.» [3]

هذا القول إن دلّ على شيء، هو الصّلة الموجودة بين التاريخ والمكان، وذلك من خلال إسهام هذا الأخير في تذكّر الأحداث التي وقعت في هذه الأماكن .وكأنّ المكان هو الوسيلة للتذكّر، فتصبح الأماكن أكثر من مجرد مواقع، ويصبح للمكان قيمة جمالية بوصفه مفتاحا من مفاتيح التجربة الإبداعية في محتواها الإنساني وهذا

[1] ينظر: بول ريكور: الذاكرة التاريخ النسيان، المرجع السابق، ص82.

[2] برغسون نقلا عن بول ريكور: الذاكرة التاريخ النسيان،المرجع نفسه، ص83.

[3] أرسطو نقلا عن بول ريكور: الذاكرة التاريخ النسيان، المرجع نفسه، ص83.

ما ذهب إليه " محمد صابر عبيد"، ونجد هذه الصورة واضحة عند" غاستون باشلار "حينما يتحدث عن المكان وعلاقته بالإنسان :

«إنّ المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل كل ما في الخيال من تمييز إنّنا ننجذب لأنّه يكثف الوجود في حدود تتنسم بالجمالية في كامل الصور... ».[1]

يتّضح لنا من خلال هذا القول، أنّ المكان لم يعد مجرد حيز جغرافي فحسب، وإنمّا هو حامل لتجربة إنسانية، يوظفها المبدع في كتاباته .وهذا ما يميّز حياة " إدوارد سعيد "في سيرته .من تنقلات بين المدن والبيئات، مما جعله يشغل كل فضاء ارتاده مكانة خاصة في مخيلته؛ بالنظر إلى طبيعته الظرفية وما احتضنته من تجارب، ومن بين الفضاءات التي كان لها دور في حياته، نذكر ما يلي :

القدس :وتعدّ رمزا لكيانه؛ فهي تمثل وجدانه ومسقط رأسه، لأنّه ولد في فلسطين، كما أنّها تعطي لحياته الوجود والاستمرار، بالرغم من أنّه في الحقيقة كان يعيش في عزلة برجوازية، وحتى العائلة نفسها لم تكن مشتبكة بالمجتمع الفلسطيني،« نادرا ما ذكرت فلسطين الوطن الضائع... ».[2] وعاشوا دائما في عزلة، وأظنّ أنّها كانت مقصودة، فوالده فلسطيني الأصل إلاّ أنّه كان يكره القدس لأنها تذكره بالموت، إلاّ أنّ زوجته كانت تلحّ عليه من أجل العودة إلى الوطن «أكره أمريكا والأمريكيين "تقول أمي" ما الذي نفعله هنا، يا وديع؟ أرجوك أن تشرح لي هذه القصة المجنونة .هل نحن مضطرون إلى أخذ الولد إلى هناك؟ ... إنّنا نسرق أنفسنا بأنفسنا ».[3]

[1] باشلار نقلا عن الشريف حبيلة:بنية الخطاب الروائي(دراسة في رواية نجيب الكيلاني)،عالم الكتب الحديث، الأردن، د.ط،2010، ص190.
[2] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص184.
[3] المصدر نفسه، ص277.

ويضيف قائلا«كانت أمي في جو شجاري وحزين، فيما أبي يستمتع ... مليئا بالحماس لأمريكا وبالتصميم على شراء بيت فيها،...»[1] .

ورغم إبعاده عنها، وغيابه الطويل، فإنّه يحنّ إلى موطنه الأصلي «فعندما أسمع الآن إشارات إلى القدس الغربية، فإنّها تعني دوما بالنسبة إليّ الأحياء العربية لمرابع طفولتي .ولا يزال يصعب عليّ أن أتقبل حقيقة أنّ أحياء المدينة تلك، حيث ولدت وعشت وشعرت بأني بين أهلي، قد احتلها مهاجرون ».[2]

فهذا يعني، أنّ" القدس "بالنسبة" لإدوارد سعيد "بمثابة الأمّ والأسرة، فهي المكان الذي ترعرع على أرضه، وذلك لأن حبُّ الوطن يولد مع المواطن منذ الولادة، لذلك يعتبر أمرا فطريا ينشأ عليه الفرد، (مثلما هو حال " سعيد")، فيبقى في ذهن الإنسان إلى أن يفارق الحياة.

ومع ذلك يمكن القول أن " فلسطين "ظلت بالنسبة إليه المكان المفقود الذي استعاده عن طريق الذاكرة، محاولا التغلب على إحساس الغربة والفراق «كل ما كنت أسعى إليه هو اتصال ودّي صادر عن الوطن، يخرق نسيج الوحدة والفراق الشاسع الذي يلفّني ».[3]

وفي مقابل ذلك كان يعاني فصاما نفسيا اتجاه فلسطين فيقول: «فقد كنت أعاني أنا نفسي فصاما تجاه فلسطين، ولم أنجح في محاولتي تجاوزه، ولا أنا أدركته تمام الإدراك إلا مؤخرا، عندما أقلعت عن المحاولة». [4]

ولا بدّ الاعتراف، هنا أنّ حبّ الوطن عند "إدوارد سعيد "لا يموت أبدا، لذلك التفت فيما بعد يدافع عن القضية الفلسطينية، وتأكيده على حق الشعب الفلسطيني، بدافع الحب أولا، وبدافع الانتماء ثانيا، إضافة إلى دوافع أخرى، ساعيا إلى فتح نوافذ الأمل على فلسطين حرّة طليقة.

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص277.
[2] المصدر نفسه، ص149.
[3] المصدر نفسه، ص283.
[4] المصدر نفسه، ص184.

القاهرة : والتي تمثل " لإدوارد "أحد الأمكنة التي أمضى فيها شبابه «في القاهرة، وهي أحد الأمكنة التي نشأت فيها،...»[1] .

وعلى أيّة حال لهذا المكان أثر على نفسيته لكونه المتنفس له، ومصدر شعوره بالراحة النفسية من جهة والاستقرار الذهني من جهة أخرى «...،فإنّ القاهرة كانت دائما هي المدينة التي تقترن في ذهني بالاستقرار».[2] وعليه فالقاهرة،كانت تمثل دائما البديل الأكبر بالنسبة إلى" سعيد"،الذي قضى حياته في مدن كثيرة .

والقاهرة في نظره كجغرافية تحمل دلالة أكثر، لكونها قاهرة الأثرياء والأقليّات الأجنبيّة، فمثلا حيّ الزمالك "الجزيرة"، التي ترعرع فيها، فهي، أرض مقتصرة أساسا على الأوروبيين حيث عاشت أسرته إلى جانب عائلات شرقية استعمارية.«أمّا جغرافية القاهرة وبيئتها الأغنى دلالة والأشدّ كثافة فكانتا تتركزان بالنسبة إلينا في الزمالك، وهي الجزيرة... ، يسكنها الأجانب والأغنياء المحليون... لم تكن الزمالك تشكل جماعة موحّدة وإنّما كانت أشبه بالمركز الكولونيالي الأمامي يتحكم فيه الأوروبيون الذين لم يكن لنا – أو لم يكد يكون لنا– اتصال بهم ».[3]

كما عرفت القاهرة بكثرة سكانها وتعدد أجناسها، لوجود مجموعات أجنبية وعدد كبير من اليونانيين والفرنسيين والإيطاليين والأرمنيين، واليهود،«مطلع الأربعينيات، كانت القاهرة مدينة مكتظة بالسكان إلى حدّ كبير... ، أضف إليهم عدة جاليات أجنبية كبيرة من إيطاليين وفرنسيين وإنجليز، ناهيك عن الأقليات القاطنة فيها أصلا مثل اليهود والأرمن والسوريين– اللبنانيين(الشوام) واليونانيين ».[4]ويتبيّن هنا، أنّ القاهرة كمدينة ضخمة، تتعايش فيها جماعات متنافرة جدا.

كما تحدث عن مصر المستعمرة ومدينة القاهرة، التي غادرها سنة (1951)كي يتابع دراساته في الولايات المتحدة الأمريكية،« وعندما غادرت القاهرة عام 1951 إلى ما اعتبرته منفاي الأمريكيّ، كانت مجمل العلاقات

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص27.
[2] المصدر نفسه، ص291.
[3] المصدر نفسه، ص47.
[4] المصدر نفسه، ص49.

بين فرعي عائلتنا في القاهرة والقدس قد أصيبت بصدوع غير قابلة للإصلاح من الناحية التجارية ».[1]فكان ينتابه حنين غامض غير مفسّر في العودة إلى موطنه، الذي كان يحسّ فيه بأنه محميّ ومحروم في الوقت نفسه،«كانت تتملكني رغبة كاسحة في العودة إلى القاهرة التي غادرتها منذ سنتين ».[2]

ويضيف في هذا السياق، مؤكّدا على فكرة العودة إلى الموطن، الذي كبر فيه، وقضيّ ردحا كبيرا من فترة شبابه في قوله «فلم أستطع التخلي عن فكرة العودة إلى القاهرة... »[3] .

ويعزى إلحاحه ورغبته هذه إلى غيابه عن القاهرة، لفترة دامت خمس عشرة سنة«بل ظللت أفترض على الدوام أن الشرطة المصرية هي الملامة وأنّه بسبب حماستهم الزائدة عن اللزوم...، منعت لخمس عشرة سنة من دخول المدينة الوحيدة في العالم التي أشعر فيها أني في بيتي، إلى هذا الحد أو ذاك ».[4]

ويعني هذا، أن المتسبب في مغادرته القاهرة؛ والتي كانت بمثابة" البيت "بالنسبة له، هو الشرطة المصرية، التي حرمته من ذلك الشعور الجغرافي العائلي، ممّا ولّد في نفسه الرغبة الملحة في العودة إلى عالمه الطفولي الضائع.

أمريكا :وتعتبر منفاه، الذي بدأ مسيرته فيه عام(1951) ، بالتحاقه بمدرسة داخلية، معتمدا على مدارس نقدية أمريكية أوروبية مهمة، معبّرا عن منفاه، الذي لم يختاره بذاته، ولم يختار الانتماء إلى الثقافة الإنجليزية بمحض إرادته وإنّما كان مضطرا،«...لأنّ وجودي" هنا" يعني أنيّ لست حيث أريد أنا،أو يريد كلانا،أن أكون؛ف" هنا " تعريفا،هو المنفى و الانزياح و الاقتلاع القسري.»[5]،فكان إرساله لأمريكا بهدف إقامته فيها قبل بلوغه الثامنة

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص168.
[2] المصدر نفسه، ص307.
[3] المصدر نفسه، ص339.
[4] المصدر نفسه، ص352.
[5] المصدر نفسه، ص272.

عشر ليستطيع الحصول على الجنسية (بحسب القانون) «ولما كنت قد عشت في نيويورك بإحساس مؤقت على الرغم من إقامة دامت سبعة وثلاثين عاما، فقد فاقم ذالك من ضياعي المتراكم، بدلا من مراكمة الفوائد .»[1]

وهذا يعني، أنّ على الرغم من إقامته الطويلة في أمريكا، وتاريخه الطويل من تجربة المنفى، فإحساسه الطاغي الذي ظلّ يلازمه معاناة الاغتراب والحنين والشعور بالانفصال.

«...قدومي إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام. 1951 لست أملك إلاّ فكرة غامضة جدا عما كانت ستؤول إليه حياتي لو أني لم أجيء إلى أمريكا ».[2]

وهو ما قوّى لديه الإحساس بالضياع والغربة، وبأنّه خارج المكان على الدوام «ففي كل سنة، كانت عودتي إلى الولايات المتحدة في آخر الصيف تنكأ الجراح القديمة، فأعيد اختبار انفصالي عنها كأنّه الانفصال الأوّل...»[3] .فهو يعبّر عن منفاه الذي أصبح تجربة إشكالية، قذفت بذاته المنفية في أسئلة المنفى، كونه بعيدا عن العائلة والأمكنة التي ألفها، ليجد نفسه أنّه يعيش أزمة فضاء بين فسحتين، ماضي فلسطيني، وحاضر أمريكي، مؤكدين الطابع التاريخي لمعاناته.

وكذلك الأمر، مع والده الذي لا يكفّ عن تذكيره بأنّه أمريكي، وبانتمائه إلى وسط اجتماعي معين، هذا الانتماء العائلي المصطنع في نظره، كان دائما منبعا لتساؤلاته، أيّ انتماء لتلك أمريكا؟ وأيّ أمريكية هذه التي يفرضها جواز سفر؟، «أنت أمريكيّ، ونحن ليس لدينا ملك، بل رئيس جمهورية .أنت مخلص للرئيس.لله و الرئيس، صُدِمت للحظة ... ثم رحت أنوح شاكيا" :"لا أستطيع أن أقول ذلك، دادي، لا أستطيع"».[4]

فليس من السهل لطفل عمره تسع سنوات أن يكون عربيّ الأصل، والثقافة غربية تعادي العرب وثقافتهم، مدركا في بداية حياته أنّ منفاه مركبا«وأدركت آنذاك انقطاعي عن عائلتي وعن بيئتي الأصلية ... فقد فطمتني

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص276.
[2] المصدر نفسه، ص276.
[3] المصدر نفسه، ص272.
[4] المصدر نفسه ، ص77.

سنواتي في الولايات المتحدة تدريجيا...»[1]. وهذا ما جعله يشعر بالمفارقة بين وطنية مزيفة متمثلة في جواز سفر، ووطنية أصلية راسخة في الوجدان، ممّا زاد من تمزقه الداخلي .معبّرا عن آلام المنفى بمعناه الجغرافي والمكاني .إضافة إلى أنّه هوجم بشدّة من طرف مثقفي أمريكا،باعتباره يدافع عن القضايا العربية،و بخاصة" قضية فلسطين"، وهذه الشحنة العاطفية القوية أخافت دعاة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية،لكونه يعيش في أمريكا،وتشربه بثقافتها،ويعلّم في جامعتها، إلاّ أنّه وقف بشدّة ضدّ سياسات أمريكا المتعاقبة اتجاه القضايا العربية«...كنت أحسبني بلا لون، لكنّ ذلك ألزمني بأن أرى نفسي هامشيا، وغير أمريكيّ، ومنبوذا ومعيبا، تحديدا في الوقت الذي صارت فيه السياسة في العالم العربي تلعب دورا متزايد الأهمية في الحياة الأمريكية. »[2].

مع أنّه ينتمي إلى جغرافية معينة (أمريكا)، فإنّه لا يشعر يوما بأنّه أمريكي، إلّا أنّه لم يسلم من الاتهامات ومن القراءات الخاطئة لفكره وكتاباته، من قبل العرب؛ الذين يتجاهلون، أنّه يخاطب الذهنية الغربية مستخدما لغتها ومفاهيمها من أجل تغيير مواقفها المتحيزة.

ضهور الشوير:من بين الفضاءات التي كان يمضي فيها غالبا فترة الصيف مع عائلته، وهي بلدة تقع في الجبل اللبناني،« قضينا معظم تموز وآب وأيلول في قرية ضهور الشوير الجبلية اللبنانية.»[3].

فكان والده يحرص على استئجار منزل متواضع، يوحي إلى حياة ريفية متقشفة حسب تعبيره« فكان القصد من كل هذا أن نعيش حياة ريفية متقشفة لا توّفر أكثر من الحدّ الأدنى من أسباب الراحة... »[4].باحثا عن سكينة تنسيه عالمه التجاري من توترات واتصالات هاتفية وأزياء رسمية«تصوّر أبي فصل الصيف في الضهور على أنّ عليه أن يكون أبعد ما يمكن، وبكل معنى الكلمة، عن عالمه التجاري في القاهرة ...وعن المدينة ذاتها».[5]

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص334.
[2] المصدر نفسه، ص306.
[3] المصدر نفسه ، ص189.
[4] المصدر نفسه، ص193.
[5] المصدر نفسه، ص194.

محاولا والده الابتعاد عن حياة القاهرة، هروبا من الواقع الاجتماعي والسياسي التي كانت تعاني منه في تلك الفترة من جهة؛ مع العلم أنّ عائلته لم تكن معنية بالشّأن السياسي، والتحرّر من الحياة البرجوازية السهلة والمقيّدة وكل ما يذكّره بالقاهرة من جهة أخرى «قضينا صيفياتنا في بيت مستأجر غير مؤثث من بيت الضهور . ذلك أنّ أبي، على رغم ثرائه، ... فكانت بيوتنا هي أبسط البيوت المتوافرة وأقلها زينة وأكثرها تحرر من التزويق ومن مظاهر البذخ »[1].

ويعبّر" إدوارد سعيد "عن إحساسه بهذا المكان، أنّه يقترن بالعزلة والشعور بالعجز« عشنا في عزلة وفرض عليها شعور بالعجز استنكرته أشدّ الاستنكار».[2]

ويستمرّ في وصف إحساسه المستمر بالخوف، الذي يبثه فيه ذلك المكان الذي عاش فيه طورا من حياته «وإذ ندخل الضهور أخيرا، عبر ضاحية الدوار الصغيرة، ينتابني شعور يثيره فيّا المكان باستمرار،هو مزيج من الأسى والرعب الداهم.» [3]،ممّا زاد نفوره منه، أوامر والده ونصائحه المملة وبرامجه المحكمة والدقيقة، وعدم توفير له تلك الرفاهية التي كان يعيشها في القاهرة وإغراءاتها على حدّ سواء«...تخطيط والديّا لإبعادي خلال الصيف، عن إغراءات ملاهي القاهرة المزعومة ...وإحلالي في مكان لا توجد، بل لا يمكن أن توجد فيه أيّة إغراءات. ».[4]

فكانت الضهور من أكثر الأماكن التي أثرت سلبا على مسيرته في لبنان، وهذا ولّد لديه شعورا بعدم الانتماء إلى لبنان« ...مع كل اتساع في الأفق كان يجيئ ما يذكرني بأنّي غريب، وبأنّ الضهور ليست بيتي ولا لبنان هو بالتأكيد وطني »[5].

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص192،193.
[2] المصدر نفسه، ص196.
[3] المصدر نفسه، ص192.
[4] المصدر نفسه ، ص199.
[5] المصدر نفسه ص221.

فلم يعد هذا المكان إلّا جزءً من بلدٍ تعاني تقلبا و اضطرابا جراء الحروب الأهلية والمنازعات« في صيف 1958، اندلعت حرب أهلية صغيرة في لبنان بين أنصار كميل شمعون، الرئيس المسيحي آنذاك... ، وبين أفراد الأحزاب العروبية ... كان ذلك هو الصيف الوحيد منذ العام1943 الذي لم نقصد فيه الضهور كالمعتاد.»[1] .

وبعد غياب دام فترة عن هذا المكان، يعود ليفاجأ لما أحدثته الحروب من فجوات في منزله وتهدّم عدد كبير من البيوت.

ومن الأهمية الإشارة، إلى أنّ علاقته بإيفا حبّبت إليه الفضاء وحفزّته على الاشتياق إليه «...فقد بدت صيفتنا المتواصلة في الضهور، قبل تلك الاضطرابات، أشبه بحلم يقظة مديد صار محور، بعد لقائي بإيفا النمو البطيئ جدا لقصة حبّنا. » [2]

ممّا زاد من توطيد علاقته بهذا المكان أكثر من أيّ وقت مضى فأصبح يشكل حلم يقظة متواصل، رسمه مسار علاقته بحبيبته "إيفا "التي حرّكت بداخله دافع سرّي غامض اتجاه هذا المكان.

ز–الذاكرة الثقافية :

يعرّفها " يان أسمن "في كتابه " الذاكرة الحضارية "بقوله: «مصطلح جامع يشمل الإطار الوظائفي لكل المصطلحات التي تندرج تحت المرادفة، والتي يمكن أن تستخدم في هذا الصدد؛ مثل مصطلح تكوين التراث، أو "مصطلح العلاقة بالماضي"، وأيضا مصطلح " الهوية السياسية أو التخيل السياسي ."فمصطلح " الذاكرة الحضارية "مصطلح شامل لكل هذه المصطلحات » [3] .

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص322.

[2] المصدر نفسه، ص309.

[3] يان أسمن: الذاكرة الحضارية(الكتاب و الذكرى و الهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى)، المرجع السابق، ص42.

فهذا القول فيه إشارة صريحة، إلى أنّ الذاكرة الثقافية حضارية، وذلك لكونها لا يمكن إدراكها ولا تحقيقها وإنّما الإنسان هو الذي ينشأها، وعليه فإنّ الذاكرة الثقافية عند " يان أسمن "تغذي التراث، كما تحيل إلى المفاهيم ودلالات تعلقت بالتراث، الإيدولوجيا، الدين، والتاريخ،...

ويوضح هذا بشكل أكبر قائلا:«إن الذاكرة الحضارية لا تعتمد التاريخ القائم على الحقائق، وإنما تعتمد فقط التاريخ الذي يتم تذكره، ويمكن القول أيضا إن التاريخ الحقيقي القائم على الحقائق يتحول في الذاكرة الحضارية إلى تاريخ" متذكر، "...وبهذا المعنى هي تاريخ مؤسس حضاريا، هي نوع من التاريخ الذي يؤسس للهوية، تاريخ يروى لكي يضيء لنا زمن حاضر معين من الأصل والمنشأ. »[1]

حاول " يان أسمن "في هذا القول أنّ يناقش جدل الذاكرة الثقافية مع التاريخ، حيث أكّد في دراسته على جدارة وكفاءة مفهوم الذاكرة الثقافية كمقابل للتاريخ، وأنّ العلاقة بينهما تشاركية.

نشأ" إدوارد سعيد "نشأة برجوازية، فهو ابن رأسمالي كبير، كان والده تاجر بالأعمال القرطاسية والمطبوعات، وتربّى على درجة رفيعة من الثقافة، فنشأ نشأة ثقافية عالية، وهي ثقافة غربية بالعموم.

لما كان في التاسعة من عمره يجلس هو وأمّه يقرءان" لشكسبير "ويؤديان مسرحية " هاملت"، ويحضر " الأوبرا"، ويلعب" البيانو"، والحقيقة أنّه كان يعيش في عزلة برجوازية،«ولهذا الغرض أنزل من فوق الرفِّ كتاب الأعمال الكاملة لشكسبير المجموعة في مجلد واحد».[2]

ويضيف قائلا:«جلسنا أنا وأمي في مقدمة غرفة الاستقبال نقرأ في " هاملت "معا، ...هي مثلت دور جيرترود وأوفيليا، وأنا مثلت أدوار هاملت وهوراشيو وكلاوديوس».[3]

[1] يان أسمن: الذاكرة الحضارية(الكتاب و الذكرى و الهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى)، ص90،91.

[2] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص80.

[3] المصدر نفسه ، ص80.

عرف منذ صباه بشغفه بالقراءة والموسيقى، حتى أصبح كاتبا ومفكرا وعازفا على آلة البيانو،«...قراءاتي في تاريخ الموسيقى والأدب... » [1] ،وهنا يمتزج الوعي بجدل التاريخ وأحابيله.

كما اعترف أنّه كره حضوره حفلة "أم كلثوم "وهو طفل، ومن وقتها، لم يشاهد الموسيقى العربية ،«فالميزة الرئيسية لسينما ديانا أنّها مسرح مضجر تؤدي فيه " أم كلثوم " حفلاتها الطويلة اللامتناهية... »[2] .

ولا يفوتنا أن ننبه إلى شيء، وهو الجانب الديني،«في الوقت ذاته، كنت أعالج الجوانب الأخلاقية والروحية من شخصيتي بحضور دروس التعليم الديني الأسبوعية ... ولا أزال أحتفظ بنسختي من" كتاب الصلوات للعموم " منذ ذلك الحين... ».[3]

إضافة إلى دراسته في أعرق الجامعات الغربية، كبرنستون التي تخرج منها عام1957 ، وهارفارد التي منحته شهادة الدراسات العاليا في الآداب سنة1963، وغيرها، فالتكوين المبكر ساعده للولوج إلى ثقافة الآخر،«فكل واحد من الأمكنة التي عشت فيها– القدس والقاهرة ولبنان والولايات المتحدة –يملك شبكة كثيفة ومركبة من العناصر الجاذبة، شكلت جزءً عضويا من عملية نموي واكتسابي هويتي وتكوين وعي لنفسي وللآخرين وفي جميع تلك الأمكنة، احتلت المدارس مكانا مميزّا في قصتي، وهي صورة مصغرة عن المدن أو البلدات حيث عثر لي أهلي على مدارس وسجلوني فيها » .[4]

يتبيّن من خلال هذا القول، أنّ " إدوارد سعيد "اضطر لاختيار الثقافة الغربية التي فرضت عليه من قبل والديه، متأثرا بالتربية التي تلقاها في محيطه، وبالسياقات الثقافية التي عايشها، ممّا مكّنه من فتح أفق معرفية جديدة، محاولا التأقلم ومكابدة منفاه، هذا الأخير الذي ساهم في صقل شخصيته بشكل مباشر أو غير مباشر،

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص338.
[2] المصدر نفسه، ص256.
[3] المصدر نفسه، ص186،185.
[4] المصدر نفسه، ص22.

ممّا ولّد لديه حسّ الإنسانية، أي أنّه تلقى تعليما كولونياليا، مثله مثل العديد من مثقفي العالم الثالث الذين كانت بلادهم مستعمرة.

فقد كان متأثرا " بكونراد"، كونه عاش تجاربه في اللغة والثقافة،«في كتابي عن هذا الكاتب الذي ظل يثيرني، بل إنّي بالتأكيد مهووس به من نواح عديدة، أحاجج أنّه عاش تجاربه ...حقق تلك الآثار الكابوسية والمقلقة كالتي حققتها كتبه».[1]ويعني هذا أنّه يرى نفسه فيه.

وساهمت العديد من العوامل في تكوين البنية الثقافية عنده، من خلال اطلاعاته المبكرة على مفكرين وفلاسفة،«كنت أنداك أتبحّر عميقا في قراءة كونراد و فيكو و هايدغر، وسواهم من الكتّاب القاتمين القساة الذين ظلوا يمارسون تأثيرا قويا في عملي الفكريّ» .[2]

فقد شكل كل ذلك مرجعية " لإدوارد سعيد "يستقي منها، تجاربه و شخصيته، وتكوينه الثقافي، بقصد أو بغير قصد.

ص–الذاكرة التاريخية :

والتي تكون عن طريق استظهار التواريخ والوقائع والاصطلاحات والأحداث البارزة والشخصيات المهمة والأعياد الذي يحتفل بها، وكذلك اكتشاف الماضي التاريخي عن طريق ذاكرة الأجداد .

وقريب من هذا المعنى ما يقوله " موريس هالفاكس "الذي يشدّد ويؤكد :«على دور القصص التي نتلقاها من قدماء العائلة في توسيع الأفق الذي يكرّس مفهوم الذاكرة التاريخية. » [3].

نلاحظ من خلال هذا القول، أنّ الذاكرة التاريخية تظلّ المرجعية الرئيسية للأمة، ويعني بذلك العودة إلى تاريخها العريق وإعادة إحيائها وبناءها من جديد .

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص7.
[2] المصدر نفسه، ص315.
[3]موريس هاليفاكس نقلا عن بول ريكور:الذاكرة التاريخ النسيان، المرجع السابق، ص577.

أدرك" إدوارد سعيد "أنّ دراسة التاريخ الذي يعدّ أساس الذاكرة، وكفكرة أساسية للسرد، من خلال استرجاع التاريخ المشترك الضائع، وإعادة تأسيسه وعودته من جديد«...،أدركت مجدّدا مدى هشاشة وقيمة وزواليّة التاريخ والظروف التي تمضي إلى غير رجعة، ولا تجد من يستعيدها ويدوّنها، اللّهم إلاّ على شكل ذكريات عرضية أو أحاديث متقطعة.»[1]

ومع ذلك التاريخ يدهشه ويستوحي منه موضوعات متنوعة، من خلال استرداد واقع تاريخي جمعي، فسيرته تتطابق مع محطات من التاريخ العربي الدّولي «وهو سجلّ شخصي غير رسمي عن تلك السنوات المضطربة التي عاشتها منطقة الشرق الأوسط .فوجدتني أروي قصة حياتي على خلفية الحرب العالمية الثانية وضياع فلسطين وقيام دولة إسرائيل وسقوط الملكية في مصر والسنوات الناصرية وحرب عام 1967 وانطلاقة حركة المقاومة الفلسطينية والحرب الأهلية اللبنانية واتفاقية أوسلو .كل هذه الأحداث موجودة ضمنا في مذكرتي... »[2] .

يمكن القول، أنّه انطلق من التاريخ الخاص معتمدا على خلفية عامّة في رصد تاريخه، فهو يمزج بين التاريخ وبين ذكرياته الشخصية.

مقررا العودة إلى العالم العربي الذي تغير وما عاد يمثل طفولته ،«ويتلّخص في أن أنكّب على فوضى تاريخي الحقيقي وأصولي، منتقيا عناصرها نتفة لأحاول من ثمّ إعادة تركيبها بشيء من الانتظام»[3] .

مشيرا إلى أنّ عائلته كانت تملك آلة تصوير سينيمائية، فسجّلوا كل المشاهد العائلية وسفراتهم وزياراتهم العائلية، ليتمّ فيما بعد إعداد فيلم تسجيلي من قبل« ...مخرجان شابّان من البي . بي .سي .يعدّان فيلما تسجيليّا

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص21.
[2] المصدر نفسه، ص21.
[3] المصدر نفسه، ص28.

عن تأليف كتاب الثقافة الإمبرياليّة، بعض الصور العائليّة القديمة ... وقد أخذ الشّابّان الأفلام إلى لندن حيث حوّلت إلى أفلام فيديو. »[1]

فهو يتحدّث هنا، عن تحركات عائلته بين القاهرة والقدس، ووصفه لتلك الفترة متوقفا عند الأزمات الشخصية و العامة.

يمكن القول في الأخير، أنّه من خلال الإطلاع على سيرة " إدوارد سعيد "وطريقة عرضه لماضيه، تكتشف أنّها تزخر بحقائق تاريخية، مستعرضا من خلالها سياق تاريخي محدد، داخل وضع اجتماعي مخصوص، محاولا حماية إرث الوطن التاريخي وتعزيزه في الذاكرة.

تأثير الهزّات الذكرياتية في فكر "إدوارد سعيد" الثقافي والكتابي:

إنّ المسيرة الثقافية المظفرة التي نسجها "إدوارد سعيد"، تجسّد وتبرر خطوط التّصدّع والانكسار والتّشظي الذي ولّد لديه جرّاء، كل هذه الهزّات الذكرياتية في أزمنة وأمكنة مضطربة، بما أنّها دريعة نسبية، واجتهاد بشري، والتي تجسّدت وتحققت عن قصد أو غير قصد في أعماله النقدية الكتابية، بصورة واضحة وظاهرة على صعيد الموضوع والأسلوب والتنظير؛ والتي يكشف من خلالها عن حقائق جوهرية أهمها: مسألة الهوية المركبة والموقع الثقافي والاجتماعي؛ انطلاقا من عيش تجربة المنفى، وخسرانه فلسطين، وتربيته في مدارس كولونيالية، ومختلف أشكال الهيمنة،...، محاولا إفشاء المسكوت عنه حتى يخرج إلى عالم أوسع، ويؤدي دوره ومسؤوليته كناقد مثقّف، وهذا ما نلمسه في قراءة ذاته الكتابيّة، مؤكدا على هذا في كتابه" تأملات حول المنفى" بقوله:«... يبدو لي أنّ واحد من أكبر أدوار المثقّف في المجال العام هو أن يعمل كنوع من الذاكرة العامة... ».[2]

يتبيّن من خلال هذا القول، ضرورة أن يحقّق المثقّف مشروعه في إطار الحرية، لأنّه في حقيقة الأمر ذاكرة عامة للمجتمع كما أشار "إدوارد سعيد".

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص107.

[2] إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى، المرجع السابق، ص330

وأمام هذا التدبدب الذّاكراتي والهويّاتي، صار "إدوارد سعيد" يعيش في الواقع في ظل المتناقضات والأضداد التي ولّدت لديه ظواهر سيكولوجية انفعالية؛ كشعوره الدائم والمستمر بالعيش خارج المكان، كونه عاش بين عالمين مختلفين، محاولا أن يتمثّل شخصية المثقّف الملتزم بقضايا عصره ومشكلات مجتمعه والواعي بتارخيته، من منظور ما بعد كولونيالي بقوله: « فالنفي يدلّ ضمنا على وجود حبّ المرء لوطنه الأصلي وارتباطه به؛ وما يصحّ على كل منفيّ ليس فقدان الوطن وحبّه، بل تأصّل هذا الفقدان في وجودهما كليهما بالذات» [1].

إنّ تجربة النفي لدى "إدوارد سعيد" أثّرت على مساره الفكري، وحفزته في الوقت ذاته، إلى الاعتناء أكثر بتأصيل قضية الانتماء والهوية في كتاباته، والتي جعلت منه ناقدا ثقافياّ، فيقول:« إنّني لا أنظر بنفسي باعتباري شخصا مفردا ومتساوقا، بل إنّني كثرة من الأشياء المختلفة منظمة معا، ولست أحاول الموازنة بينها. وأنا لا أرى نفسي شخصا يحاول أن يصلح حال ما فيه من الاختلافات، وإنما أحاول أن أعيش في التّفارقات».[2]

رغم عيشه بعيدا عن وطنه واندماجه في الثقافة الغربية التي تلقّاها منذ صباه، إلاّ أنّ شعوره بالانتماء للثقافة العربية ظلّ محفورا في ذاكرته، هذه الأخيرة التي اشتغلت على المهمّش والمسكوت عنه، والمطمور في حياته والتاريخ الإنساني المحيط به، فهو الناقد الذي عاش تجربة المنفى والاقتلاع، ومفارقة الهوية.

فكانت أعماله منسجمة، انسجاما عظيما وذلك لصدورها عن روح فلسفية عميقة، مستندة إلى أصول فلسفية راسخة، مثلا أوّل كتاب صدر له عن "جوزيف كونراد" عام 1966، وقبل ذلك أنجز أطروحته للدكتوراه عن هذا الروائي بقوله : «... هذا الكاتب الذي ظلّ يثيرني، بل إنّي بالتأكيد مهووس به من نواح عديدة».[3]

إنّ حضور "كونراد" الدائم في أعمال" إدوارد سعيد" لم يكن من قبيل الصدفة، ويبدو أنّ "إدوارد سعيد" قد ربط مصيره بمصير كاتبه المفضّل، لأنّ كليهما عاشا تجربة المنفى؛ ف"إدوارد سعيد" يرى في "كونراد "نفسه وتجاربه،

[1] ادوارد سعيد: تأملات حول المنفى، ص132

[2] ادوارد سعيد: الثقافة والمقاومة، المرجع السابق، ص169

[3] ادوارد سعيد: خارج المكان، ص7

فهو المنفي والمتغرّب والمعايش للتجربة الكولونيالية، والذي كان مجبرا بشكل أو بآخر، وذلك الشعور نفسه كان ينتاب" إدوارد "بأنّه غير مستقرّ ويعيش في غير مكانه، إضافة إلى شعور العيش المؤقّت داخل اللغة وداخل الثقافة، وبل خارجهما. حيث كان حريصا في اشتغاله على إشكالية الثقافة؛ كونه عانى من مفارقة الثقافة ومفارقة الهوية، ذلك أنّ الثقافة تظهر فعاليّتها وحيويّتها ابتداء من تثبيت الهوية وترسيخها مؤكّدا على هذا في كتابه "العالم النص والناقد "بقوله: «فمثار اهتمامي هو الإشارة إلى أنّ الثّقافة إن كانت تمارس أنواع الضّغط الذي جئت على ذكره، وإن كانت تخلق المناخ، لا بل والجماعة التي تتيح للناس الشعور بالانتماء،.....»[1] ويعني هذا ،أنّ "إدوارد سعيد" يؤمن بكون الثقافة وسيلة من وسائل بناء هوية الذّات، وهنا يظهر حضورها وفاعليتها.

إلاّ أنّه يبقى للمنفى أهمية بالنسبة "إدوارد سعيد" وحيويته، فهو ما أنتج منه مثّقفا مستقلاّ وأكثر حضورا بين الثّقافات، كما أكسبه وعيا نقديّا. وهذا ما أشار إليه في كتابه " فرويد وغير الأوروبيين" بقوله:«في حين لا يعرف معظم الناس سوى ثقافة واحدة، وخلفيّة واحدة ،ووطن واحد، فإنّ المنفيّين يعرفون اثنين على الأقل، وتعدّدية الرؤية هذه تولّد وعيا بالأبعاد المتزامنة، وعيا هو وعي طباقيّ، كما يقال في لغة الموسيقى. فعادات الحياة، أو التعبير، أو النشاط في البيئة الجديدة لا بد أن تجري، بالنسبة للمنفيّ، بعكس ما يتذكره عن هذه الأشياء في البيئة الأخرى.»[2]

ويظهر هذا بشكل أوضح في سيرته الذاتية من خلال تفسير "إدوارد سعيد" حضوره الطفولي في "إدوارد سعيد" المثقّف، انطلاقا من قراءة طفولته ببصيرة النّضج والثقافة والمنفى والمرض، وهو نوع من المطالبة بحقّ العودة إلى وطنه الأمّ فلسطين وثقافته العربية، باحثا بشكل أو بآخر، عن أن ينسب نفسه إلى هذه الثقافة، التي كانت مركز ذكرياته في خضمّ تلك الانقسامات والتّشتّت الذي عاناه في عالمه الداخلي، والذي ولّد لديه شعورا مضاعفا

[1] ادوارد سعيد: العالم والنص والناقد، تر: عبد الكريم محفوظ من منشورات، دط، 2000، ص19

[2] ادوارد سعيد: فرويد وغير الأروبيين، دار الآداب، بيروت، ط1، 2004، ص17

بالمنفيّ، وجعل منه مثقّفا قلقا، وهذا راجع إلى عوامل تكوين بنيته الثقافية، وتشرّبه لتقاليد الفكر الغربي، واطّلاعاته المبكّرة على فلاسفة ومفكرين كان لهم الفضل في صقل شخصيّته وتنميّتها.

المبحث الثالث: الهوية

أولا: مفهوم الهوية

أ–لغة:

تعدّ مسألة الهوية من القضايا الشائكة التي أحدثت جدلا في الأوساط المعرفية في ضبط المفهوم سواء من المنظور اللغوي أو الاصطلاحي، وسيكون من الصعب تحديدها بمفهوم معين، أو حتى تطويقها بألفاظ أو كلمات نهائية، ذلك أنّها مدلول لا نهائي أصلا .

لقد وردت العديد من المفاهيم لمصطلح الهوية في العديد من المعاجم، فجاء في المعجم الوسيط في معناها اللغوي أنّها تعني :«حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره إنّ" الهوية "لضم الهاء مصطلح استعمله العرب المسلمون القدماء، وهو منسوب إلى " هو "وهذه النسبة تشير إلى ما يحمله من مضمون.» [1]

أمّا في كتاب التعريفات للجرجاني فإنّها تعني :«الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق.» [2]

يتّضح من خلال ما سبق ذكره، أنّ الهوية تعني جوهر الأشياء أو الشخوص، أو هي تلك الفروقات التي تميّز فرد عن آخر، وذلك من حيث توظيفها في السياقات المختلفة والتعامل معها كفضاء ومرجعية لتحديد الانتماء الذاتي أو الجماعي.

وقد جاءت لفظة الهوية في معجم " لسان العرب لابن منظور":«هوية تصغير هوة، وقيل الهوية بئر بعيدة المهواة.» [3]

[1] نقلا عن حاتم الورفلي،بول ريكور: الهوية و السرد،دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، د.ط،2009، ص23.
[2] علي بن محمد بن علي الجرجاني: كتاب التعريفات، تر: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط،2002، ص198.
[3] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، ج14، دار صادر، بيروت، ط3،1414،ص313.

كما يعرّف قاموس " المنجد "الهوية في اللغة العربية بأنّها:«حقيقة الشيء أو الشخص المطلق، المشتملة على صفة الجوهرية.»[1]

نجد من خلال هذه التعاريف،أنّ المعاجم العربية لم تبتعد عن هذا المفهوم ،كونها تصب في إطار واحد وهو التعبير عن هوية الشخص.

حيث يعرّفها" :قاموس روبير "الذي يعبّر عنها مثلما يعبّر عنها" معجم لاروس"بأنّها:«ما يسمح بالتعرّف على الشخص بين جميع الأشخاص الآخرين» [2].

مفاد هذا القول، هو أنّ الهوية هي السمة المميّزة التي بفضلها نستطيع أن نفرق بين هذا وذاك؛ فمثلا يمكننا أن نفرق بين شخص وآخر من خلال بطاقة الهوية أو بطاقة التعريف الوطنية :التي تحمل الاسم واللقب وتاريخ الميلاد ...

نستنتج من خلال ما سبق، بأنّ مصطلح الهوية قد نال اهتماما كبيرا، وهذا يبدو جليا في المعاجم(اللغوية)، وأنّ كل هذه التعاريف قد عبرت عن الهوية بطرق متنوعة.

ب–اصطلاحا :

تعدّ الهوية من أكثر المواضيع التي تناولها الفلاسفة والباحثون وحاولوا الإحاطة بها، ذلك باعتبارها موضوع إنساني خالص؛ خاص بالفرد والجماعة داخل المجتمع، فهي مصطلح قديم الاستعمال إلاّ أنّ تعريفها ليس بالأمر الهيّن وذلك نظرا لتطور المفهوم وكذلك لكونها موضوعا ليس ثابتا، وهنا تكمن الصعوبة، إذ نجد" هويدا عدلي " تقول: «إنّ الباحث عندما يتعامل مع مفهوم الهوية– على وجه الخصوص –فإنّه يتعامل مع مفهوم قلق من

[1] لويس معلوف: المنجد في اللغة و الأدب و العلوم، مادة الهوية، دار صادر، بيروت، ط8، 564،565.

[2] نقلا عن أحمد منور: أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية دراسة أدبية،دار الساحل للكتاب، الجزائر، د.ط،2013، ص16.

الناحية النظرية، يثير أسئلة أكثر ممّا يقدم إجابات ... حيث أنّه من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية شائكية نظرا، لما يثيره من إشكاليات عديدة.» [1]

وبالرغم من صعوبة تعريف الهوية فإنّنا نحاول الوقوف عند بعض التعاريف التي أوردها بعض الدّارسين وممّا جاء في تعريفها نذكر تعريف" إليكس ميكشلي "الذي يصفها بقوله: «منظومة من المعطيات المادية، والمعنوية، والاجتماعية، التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية .ولكن لا يمكن لمثل هذه المنظومة أن تكون في حيّز الوجود ما لم يكن هناك شيء ما يعطيها وحدتها ومعناها، ويتمثل ذلك في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصة الإحساس بالهوية والشعور بها» [2].

يتبيّن لنا من خلال هذا التعريف، أنّ الهوية تنبني وتقوم على ثلاثة أطر تتمثل هذه الأخيرة في الفرد ومجتمعه وإنسانيته.

في علم النفس تعرّف الهوية على أنّها:«الهوية هي وحدة الأنا (الذات)وأساسها، فهوية الأنا ego identity تعني ذلك الإحساس الأنوي بأنّي أنا هو أنا في كافة الأحوال والأزمنة وهي في الآن نفسه ما تميز الأنا عن غيرها من أنوات، فالهوية كمبدأ فلسفي تعبّر عن ضرورة منطقية بعينها تؤكد أن الموجود هو ذاته دوما لا يلتبس به ما ليس منه ... فالشخص هو هو مهما اعتراه من تغيرات الأمر الذي يشير إلى أهمية إدراك العمليات اللاّشعورية» [3].

نلاحظ من خلال هذا التعريف، أنّ الهوية ترتبط بالذات، وتكتسب المعنى والمضمون في شكل إحساس بالأنا.

---

[1] هويدا عدلي نقلا عن خليل نوري ميسهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية،سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، بغداد،ط1 ،2009، ص41.

[2] أليكس ملكشيللي: الهوية، تر: علي وطفة، صادر عن دار النشر الفرنسية،ط1 ،1993 ،ص129.

[3] فرج عبد القادر طه، شاكر عطية قنديل: معجم علم النفس و التحليل النفسي، المرجع السابق، ص479.

أمّا في علم الفلسفة تعرّف الهوية على أنّها :«حقيقة الشيء من حيث تميّزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدة الذات» .[1]

نستخلص مما سبق، أنّ التعريفات جميعها متّفقة على أهم شيء في تعريف الهوية، ألا وهو الخصوصية والتميز عن الغير .

ثانيا:الخصائص الأساسية للهوية:

1- "الاستمرار: بحيث أن الفرد يعي ذاته ويشعر بأنّه هو مع مرور الزمن.

2- التماسك: إنّه التمثل المستقر الذي يحمله الفرد عن ذاته ويكونه الآخرون عنه.

3- التفرّد: هي أن يشعر الفرد بأصالته، وبرغبته في الاختلاف، وبأنّه فريد من نوعه ولا يشبهه أحد. هذا العامل ذو حدّين، فقد يتحول ضمن ظروف محددة وخاصة إلى انغلاق كامل على الذات.

4- التنوع: وهي تتمثل في أننا عدّة أشخاص في الشخص نفسه، في الوقت نفسه، هذا يرتبط بمدى تقبلنا لجملة من الأدوار الاجتماعية التي اخترناها أو التي أناطها الآخرون بنا. وهذا العامل ذو حدّين أيضا إذ بدلا من أن تكون الأدوار المتعددة مصدر غنى، فمن الممكن أن تؤدي إلى تشتت الذات.

5- تحقيق الذات من خلال العمل: هي أن نكون ما نعمله حيث تحقق الذات عن طريق الأنشطة والفعاليات التي نؤديها أو حتى المهنة التي نزاولها.

6- تقدير الذات، أي تنمية الإحساس بالقيمة الشخصية وبالذات، وذلك في نظر الفرد نفسه أو في نظر الآخر." [2]

ثالثا:أبعاد الهوية في سيرة إدوارد سعيد

إذا ما انطلاقنا من مفهوم الهوية التي تعتبر من بين المفاهيم والأفكار التي تناولها الفلاسفة والعلماء والباحثون، فكثيرا ما ندّعي في بعض الأحيان أنّنا نحيط بهذا المفهوم من كافة جوانبه، لكن سرعان ما نكتشف

[1] مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،1983، ص208.

[2] طالب علي: الهوية، بيت المواطن للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2016، ص39.

أنّنا لا نعرف ولا نحيط بأيّ شيء عنه، فهو مفهوم ترحالي، إذ نجدها –الهوية –في ميادين معرفية متعدّدة، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأنّ هناك هويات متعدّدة ومتباينة فيما بينها، تنتمي إلى أماكن وأزمنة مختلفة، وهذا ما يجعل من الفرد يتبنى هوية محددة يدمجها في الذات الفردية يخيّل له أنّها هوية واحدة، ومن بين هذه الهويات نذكر : الهوية الحضارية، الهوية الثقافية، الهوية الفلسفية، الهوية النفسية، الهوية التاريخية ... وغيرها من الهويات .

فمهما اختلفت وتنوعت هذه الهويات فهي تعكس توجه الإنسان وأفكاره، وتصوراته وإنجازاته، سواء ما تعلق بخدمة مصلحته، أو بخدمة المجتمع، فهو ينصهر داخل الجماعة ويمثل معالمها وثقافتها وتاريخها العريق، وبذلك لا يمكن أن نعزل هوية عن هوية أخرى، لأنّ كل الهويات متداخلة ومترابطة مع بعضها البعض وكل واحدة منها لا يمكن أن تكون منعزلة عن غيرها من الهويات .

ومن هنا سنركّز الحديث عن :الهوية (الاجتماعية، والثقافية، والنفسية والفلسفية).

أ–الهوية الاجتماعية:

لقد اهتم علماء الاجتماع بموضوع الهوية وتناولوه للدراسة والبحث حيث لا يخلو مجتمع بدون هوية اجتماعية ولعل هذا ما يتفق عليه معظم علماء الاجتماع ومن بينهم "ريجارد جنكز "الذي يرى، بأنّ الهوية الاجتماعية هي: «تصورنا حول من نحن ومن الآخرون، وكذلك تصور الآخرين حول أنفسهم وحول الآخرين» [1].

إنّها التفاعل الحاصل داخل بنية مجتمعية وبين أفراد هذا المجتمع بالخصوص، ومن تراث وعادات وتقاليد، ودين ولغة، أو ثقافة معينة، رغم بعض الاختلافات الموجودة بين أفراد المجتمع.

إلاّ أنّها «تشكل فقط عبر التمييز بين هويات مختلفة الجماعات والتي يمكن ربطها بأناس آخرين ».[2]

[1] ريجارد جنكز نقلا عن هارلمس و هولبورن: سوسيولوجيا الثقافة و الهوية، تر: حاتم حميد محسن،دار كيوان للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق،ط1 ،2010، ص93.

[2] المرجع نفسه، ص93.

ومن خلال ما ذهب إليه " ريجارد جنكز "فإنّ الهوية الاجتماعية حسب اعتقاده هي جزء مكمل للحياة الاجتماعية، باعتبارها هي أساس كل أنواع الهويات، لأنها تربي الشعور بالهوية من خلال الشعور بالانتماء داخل أفراد المجتمع الواحد.

وبتعبير أوضح الهوية الاجتماعية تعني« السمات والخصائص التي تضفي على الفرد من قبل عدد كبير من الأفراد الآخرين والجماعات الأخرى في المجتمع...، وهي هوية اجتماعية معروفة من قبل ممثليها الذي يوافق ويشارك في الحياة الاجتماعية عبر انتماءاته الاجتماعية المتنوعة»[1]،وبذلك تعتبر جملة من العلاقات الاجتماعية المتضمنة أو المستعبدة وذلك بالنظر إلى الجماعات الأخرى.

إنّ الهوية الاجتماعية بذلك ترتبط بالانتماءات، وتبقى شعور إنساني داخلي يعني من خلاله الإنسان ذاته حيث نجد " دور كهايم" «يعتبر أن الوجود الاجتماعي للأفراد هويتهم الاجتماعية المرادفة للانتماء إلى فئة ملائمة اجتماعيا، هو ما يرثونه دون رغبتهم، ويشكل سلوكياتهم دون أن يدركوا، فمفهوم الهوية للذات لا ينتمي إلى مصطلحات علم الاجتماع التقليدي وتصبح الهوية الاجتماعية رديفا للغير.»[2]

ومن خلال ما قدمه عالم الاجتماع " إميل دوركهايم "نجد أنّ الأفراد يرثون وجودهم الاجتماعي من خلال سلوكاتهم التي تلعب الدور الأهم في تشكيل انتمائهم، والتي بدورها أيضا يساهم في تكوين الهوية داخل الأطر الاجتماعية .

وبناءا على ما تمّ ذكره في مفهوم الهوية الاجتماعية، فإنّها تتضمن عدة مجالات من بينها:[3]

[1] ألكس مكشيللي: الهوية، المرجع السابق، ص111،112.

[2] دوركهايم نقلا عن كلود دوبار: أزمة الهويات(تفسير تحول)، تر: رندة بعث، المكتبة الشرقية، لبنان،ط1 ،2008، ص28.

[3] فريال حمود: مستويات تشكل الهوية الاجتماعية، و علاقاتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين، مجلة جامعة دمشق، مج،27، ملحق2011، ص567،568.

• إنّ– الصداقة –تدعم مفهوم الذات وبروز الهوية وتتميّز صداقة المراهقين بوجود روابط قوية، من خلال التشارك في الأنشطة، وتبادل المنافع، وتجهز الفرد لمتابعة ممارسة الأنشطة، وخلق أسلوب حياة النموذج الثقافي، ورغم أن المراهقة فترة ظهور القدرة الاجتماعية لكنها أيضا فترة التفرد.

• العلاقة مع الجنس الآخر :وترتبط بحاجة المراهقين إلى فهم الموافق واكتشاف أدوارهم الجنسية، وتأثير القيّم العائليّة، والتنوّع الثقافي والتطور الاجتماعي، فالأبناء يكوّنون مشاعرهم الأساسيّة عن مفهوم الرجولة والأنوثة والأبوة والأمومة من معاملة الآباء والأمهات بعضهم بعضا، كما تؤثّر الصداقة في توجيه استقرار وتأكيد الدور الجنسي الذي يخلق شروط طبيعية لتعبير الألفة والتعريف بالمشاعر والأفكار المشتركة وحول تماثل عمليات التربية، وهذا ضروريّ في تشكيل الهوية.

• إدراك الدور الجنسي وتحديده:

• ينشأ مبكرا خلال تعريف الطفل حول جنسه، ويكون أكثر وضوحا في أثناء المراهقة ... وتعدّ معايير الهوية الجنسية ضروريّة لتمايز الأدوار المرتبطة بها، وفق المنظومة الثقافية وتطوراتها، وتقدير الجنس كدور بيولوجي وكفاءة اجتماعية.

• أسلوب الاستمتاع بوقت الفراغ (الترفيه):

وقد بيّن علم النفس الاجتماعي ضرورة الاهتمام بوقت الفراغ، وذلك من أجل تنظم السلوك الاجتماعي، وفهم الذات أكثر، وتطوير السلوك التفاعلي والاندماج الاجتماعي، وتوظيف الفاعليّة في داخل المحتوى الاجتماعي كما أنّه مهمّ في تجريب الهويات والإشاعات المعرفية الحصول على معلومات متنوعة، تحقيق أهداف عملية في الحياة والنضج الاجتماعي السليم.

وإنّ من أهم الوسائط الاجتماعية التي تسهم في تشكيل الهوية هي الأسرة والمدرسة والأقران، وتبيّن الدراسات أهمية الاهتمام بتطوير إمكانات المراهقين المرتبطة بالأبعاد الشخصية والاجتماعية والحضارية."

وفي الأخير نستنتج بأنّ الهوية الاجتماعية، هي التي تحدّد وتحكم كل المجتمع وتميّزه عن المجتمعات الأخرى، فهي بذلك تحدّد للفرد هويته وكذا انتمائه لمجتمع معين وتخصه بهوية ثابتة التي يعرّف بها نفسه مقارنة بالآخرين، فهي بذلك صفة تميّزه عن الآخرين، فالتعرّف على الآخر هو الذي يحدّد لنا نقاط التشابه والاختلاف بين الجماعات وبفضل التفاعل بين الأفراد تتشكل الهوية ويعاد بنائها من جديد.

ب–الهوية الثقافية :

يعتبّر مفهوم الهوية نقطة جوهرية في أوساط الدراسات الثقافية، وهي مفهوم يرتبط بالجانب الثقافي للإنسان، وقد عرّف " موسى الشرقاوي "الهوية الثقافية بأنّها«مجموعة الصفات الجوهرية والثابتة، سواء في الأشياء أو المجتمعات، فللمكان هويته الخاصة، وكذا بالنسبة للمجتمعات، فلكل مجتمع مميزة وله ثوابته الجغرافية والتاريخية، وموروثاته الثقافية، وبذلك تصبح الهوية الثقافية هي الرمز أو القاسم المشترك الذي يميّز فردا أو شعبا من الشعوب عن غيره.»[1]

يتّضح لنا من خلال هذا القول، أنّ المجتمعات تختلف باختلاف ثقافاتها والاحتكاك الثقافي الذي زادت وتيرته، واستعانتهم بالهوية كوسيلة تحمي ميراثهم الثقافي المهدّد بالزوال .فإنّ وجود الهوية يستدعي بالضرورة وجود الثقافة فلا وجود لأمّة من دون ثقافة كما لا توجد أمّة من دون هوية، لهذا أمكن القول بأنّه: «لا ثقافة بغير هوية حضارية، ولا هوية بغير إنتاج فكري».[2]

وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان يرتبط بثقافة معيّنة فهذا– بلا شك – يعني امتلاكه لهوية متفردة تميّزه عن جماعات أخرى وتربطه بالجماعات التي ينتسب إليها من ناحية، ومن ناحية أخرى تجعله مختلفا عن باقي أفرادها، والجماعة التي تحدد لنفسها ثقافة تنتسب إليها، وبذلك فقد عرّف العالم الأنتربولوجي" إدوارد تايلور "الثقافة على

[1] موسى الشرقاوي نقلا عن ثناء هاشم محمد: الهوية الثقافية و التعليم في المجتمع المصري(رؤية نقدية)،مجلة كلية التربية، جامعة بني سويف،عدد يناير،ج1،2019، ص128.

[2] عبد السلام المسدي:الهوية العربية و الأمن اللغوي (دراسة توثيق)، المركز العربي لأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، ط1،2014، ص272.

أنّها«الكلّ المركّب الذي يضمّ المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وسائر الملكات والعادات الأخرى التي يكتسبها بوصفه عضوا في المجتمع».[1]

ويؤكّد " بوجاردس "على مفهوم الثقافة بأنّها:« هي المجموع الكلي لأساليب الفعل والتفكير الماضية والحارة لجماعة اجتماعية، هي تمثل مجموعة التقاليد والمعتقدات والأعراف المتوارثة.»[2]

ومن خلال ما تمّ ذكره فإنّ أيّ فرد تتكون لديه الثقافة بحسب المجتمع الذي يعيش فيه، لأنّه بفضلها (الثقافة)يتمّ التواصل مع جماعته .وأنّ الهوية الثقافية ليست مادة معرفية جاهزة، وإنّما عبارة عن معارف وخبرات وتجارب إنسانية متغيّرة ومتطورة، وعلى هذا الأساس فإنّ" الهوية الثقافية "تحدّد بمجموعة من المقومات الأساسية المتجسدة في:[3]

- "اللغة الوطنية واللهجات المحلية المرتبطة بوجود شعب ما وتطوره ومصيره على أساس أن تكون اللغة الوطنية معتمدة في التدريس على جميع المستويات، وفي التسيير الإداري، وفي القضاء ،إضافة إلى التواصل بين شرائح المجتمع إلى جانب اللهجات المحلية.
- القيم الدينية و الوطنية المتكونة عبر العصور والتي تكسب الشعب حامل الهوية حصانة تحول دون ذوبانه في شعوب أخرى، وتؤهله لمقاومة كل محاولات التذويب مهما كان مصدرها.
- العادات والتقاليد والأعراف التابعة من تلك القيم والحاملة لها والعاكسة لمستوى الشعب، حامل الهوية الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي.

[1] إدوارد تايلور نقلا عن منصوري سميرة:العولمة و الهوية الثقافية للشباب الجزائري(مفاهيم و تجليات)،مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة،العدد7،2017، ص316.

[2] بوجاردس نقلا عن منصوري سميرة:العولمة و الهوية الثقافية للشباب الجزائري، المرجع نفسه، ص316.

[3] أسماء بن تركي:الهوية الثقافية بين قيم الأصالة و الحداثة في ظل التغيرات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري،مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية،المركز الجامعي، الوادي، ص632.

• التاريخ النضالي الذي ينسجه ذلك الشعب حامل الهوية من أجل المحافظة على هويته أرضا وقيما، وتقاليدا، وأعرافا."

نستنتج في الأخير ،بأنّ الهوية الثقافية مرتبطة بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان وتضم كل الأفكار والعادات التي ابتكرها؛أي أنّها منتوج إنساني تعبّر عنه وعن هويته، وعن مدى فهمه وارتباطه بالحياة والواقع،فهي بذلك تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته.

ج–الهوية الفلسفية :

لقد طرحت مسألة الهوية بصفة كبيرة في الفلسفة منذ القدم، وذلك باعتبار الهوية موضوع فلسفي بالأصالة عالجه الفلاسفة المثاليون والوجوديون على حدّ سواء، ولقد أشار بذلك " بول ريكور "إلى الخطاب الهووي الذي «يعد الخطاب الهووي بحثا عن محددات الأنا / نحن /الهُم، ومكوناتها تمييزا وفصالا جوهريا يموضع الذات داخل نسق معياري أخلاقي يترجم عامة في قالب إيديولوجي ذو بعد واحد وتحت مجموع مثل و رموز تحول المجاور إلى مناور يتهدّدني ويعمل على إقصائي»[1].

يفهم من قول " بول ريكور" ، أنّ هذا الخطاب هو والبحث عن السمات والعلامات التي تعبّر عن الذات، والتي تعمل على جعل الآخر بعيدا عنها باعتباره يعمل على خلق مناوشات بينه وبينها ممّا يؤدي إلى تهديد الذات أو الأنا ومحاولة إقصائها وتهميشها وزرع بذور الاختلاف والتعدّد والمغايرة الموجودة بين الأمم والثقافات.

تعتبر الهوية هي السمة البارزة أو العلامة الفارقة التي تميّز كل فرد عما سواه، سواء من حيث الوجود الداخلي أو تعاطيه للعالم الخارجي، وعلاقاته مع الأشياء والموجودات المحيطة به، فعالم الإنسان الداخلي هو ما

[1] حاتم الورفلي،بول ريكور:الهوية و السرد،دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،د.ط،2009، ص5.

ينطوي عليه من مشاعر وأحاسيس وأفكار، في علاقته بعماله الخارجي، باعتبار أن الهوية« ليست فعلا نهائيا بل إنها حضور حي متجدد ومفتوح على التعدد والاختلافات ومتفاعل مع الزمان والمكان والأنا والنحن»[1]

يتّضح من خلال هذا القول، أنّ الهوية ليست كيانا ثابتا بل متغيّر أو متجدّدا خاضعا لثنائيات عدّة : كالزمان والمكان، والأنا والنحن، إذ لا يمكنها الاستمرار والتفاعل مع الأنا دون النحن في الواقع هو الذي يحدد من أكون أنا كفرد وكذات مستقلة، في المقابل لا يمكن أن تتحدد شخصية " النحن "بمعزل عن ذات الفرد لأنّ الأنا جزء من النحن.

لقد أشار " حسن حنفي "إلى أنّ الهوية في نظره خاصة بالإنسان والمجتمع ويجعل منها موضوعا إنسانيا خالصا، وأنّ الإنسان بغياب هويته يصبح يشعر بالاغتراب، ونجده يربط الهوية بالحرّية وهذا ما يؤكّده بقوله: «الهوية تعبير عن الحرّية، الحرّية الذاتية. الهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد. إن وجدت فالوجود الذاتي، وإن غابت فالاغتراب.»[2] الهوية إذن على الرغم من أنّها موضوع ميثافيزيقي فإنّها مشكلة نفسية وتجربة شعورية. فالإنسان قد يتطابق مع نفسه أو ينحرف عنها في غيرها. فالإنسان الواحد في نظره ينقسم إلى قسمين: هوية وغيرية، فالهوية في أن يكون الإنسان هو نفسه، والاغتراب هو أن يكون ليس هو نفسه، وتعتبر الهوية كذلك ظاهرة كونية، وأنّ أفضل منهج يتناول موضوع الهوية هو المنهج الفينومينولوجي وذلك يظهر من خلال قول " حسن حنفي"«أنّ الهوية ليست موضوعا صوريا ميتافيزيقيا مجردا، بل هي قصدية يشعر بها الباحث، ويصف الموضوع بتحليل ذاته.»[3]

يتّضح من خلال هدا المنطلق، أنّ مصطلح الهوية من المنظور الفلسفي «كلمة مولّدة اشتقها المترجمون القدامى من الـ" هو" لينقلوا بواسطتها إلى العربية كما يقول –الفرابي– المعنى الذي تؤديه كلمة " هست" بالفراسية

[1] حاتم الورفلي،بول ريكور:الهوية و السرد، ص178.
[2] حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012، ص11
[3] المرجع نفسه، ص15.

وكلمة " أستين" باليونانية أي فعل الكينونة الذي يربط بين الموضوع والمحمول، ثم عدلوا عنها ووضعوا كلمة الموجود مكان ال" هو" والوجود" مكان الهوية.» [1]

وعليه فإنّ هذا المصطلح " الهوية " هو مصطلح ناتج عن اشتقاقه من الضمير الغائب " هو" المتصل بـ "ال" التعريف، والذي تتصل به ياء مشددة وتاء مربوطة، وهو مصطلح فلسفي يربط الدال بالملول أو بين الشيئ ومعناه، ثم تغيير هذا المصطلح حيث وضع مكانه مصطلح آخر يؤدي المعنى ذاته وهو " الوجود" وعليه فالهوية هي الوجود ذاته.

وفي هذا الصدد فقد أصبحت الهوية عنوانا لفلسفة فلسفة الهوية عند " شلينج"، أي «أن يكون الوجود مطابق لنفسه دون انفصام أو انقسام أو ازدواجية أفلاطونية، تطابق الروح والطبيعة، المثال والواقع دون حركة أو جدل أو مسار كما هو الحال عند " هيجل"، فهي ليست فقط هوية رياضية أو منطقية أو فلسفية أو نفسية بل هي هوية أنطولوجية أقرب إلى وحدة الوجود عند الصوفية، فالهوية قد تنتقل من تجربة فردية إلى الوجود كله.»[2]

نستنتج في الأخير، بأنّ الهوية ترتبط وتعرّف من خلال الاطلاع على ذات الفرد الذي تحكمه مجموعة من الخصوصيات، فهذا الشخص هو نفسه أو هو لا يتغير، فالهوية بذلك تعني وجود كيان مستقل لكل شيئ أو كل كائن عن الأشياء، أو الكائنات الأخرى مهما تشابهت خصائصها معه.

د–الهوية النفسية:

إنّ الإنسان يتأمل ذاته ويفكر في طبيعة سلوكياته منذ وجوده على سطح الأرض، وكيف يتأقلم أو على الأقل يحاول التأقلم مع الواقع والظروف الخارجية، فالهوية هي التي تحدد انتماءات الفرد وتعبّر عن شخصيته والتي تندمج داخل جماعة بشرية معينة، فمن خلالها يعرّف ويعرّف الشخص نفسه، فيصبح بإمكانه أن يحسّ أنّه مرغوب فيه أو مرفوض من قبل مجتمعه، ولهذا نجد الهوية تعبّر عن مزاج الفرد وسلوكاته، فهي ترتبط بمرحلة المراهقة

[1] حاتم الورفلي، بول ريكور: الهوية والسرد، المرجع السابق، ص23. 24

[2] حسن حنفي: الهوية، المرجع السابق، ص13، 14.

وما يصاحبها من تغيرات نفسية وفيزيولوجية. ولعلّ هذا ما ذهب إليه العالم النفسي " أريك إريكسون " الذي يربط نمّو الأنا بنموّ الهوية الأنا، وفي هذا الصدد: «فقد مثل تصورا " أريك إيركسون " عن نمو الأنا ووظائفها نقلة كيفية مهمة داخل الإطار العام للتحليل النفسي، حيث تحوّل التركيز من الهو إلى الأنا كأساس للسلوك الإنساني، باعتبار الأنا بنية مستقلة من أبنية الشخصية لا تتحدد وظائفها فقط بمحاولات تجنب الصراع بين الهو والأنا الأعلى ومطالب المجتمع،لكنها تضطلع أيضا بمهام مركزية أخرى تتمثل في إحراز الهوية وتحقيق السيطرة (mastery) والفاعلية في التعامل مع الواقع الخارجي.»[1]

وبالنظر إلى دلالة " هوية الأنا" من الناحية النفسية فإنّها:«تمثّل الأنا الفردية الشخصية للفرد ومن ذلك المنطلق يمكن مفهوم هوية الأنا في تحديد الفرد لمن يكونه وما سيكونه، بحيث يكون المستقبل المتوقع امتدادا واستمرارا لخبرات الماضي، أو تكون خبرات الماضي متصلة بما يتوقعه من مستقبل اتصالا ذا معنى، وينطوي مفهوم الهوية على شعور الفرد بكونه قادرا على العمل كشخص منفرد دون انغلاق العلاقة بالآخر، أي تحقيق تفرده وتقوية أدواره الاجتماعية وإعادة تقوية لعلاقاته بعالمه والآخرين وتوجهه نحو أهداف محددة» [2].أي أنّ الفرد تتحدد هويته من هذا المنظور بناءا على ذاته، فهي بذلك مرتبطة بفكره ولا أحد يستطيع أن يعرف هوية الآخر، وبذلك فهي تعتبر من الصفات السيكولوجية المتطابقة الخاصة بفئة من الناس، تكسبهم تطابقا فكريا وعقليا، بمعنى إحساس الشخص بالانتماء إلى نفسه ولذاته أولا، ثم تواصله مع الآخر بصورة طبيعية عندما يتحقق وعيه بذاته.

وقد ذكر "أريك إريكسون" (1980) ثلاثة عناصر رئيسية تسهم بشكل حاسم في تحديد هوية الأنا:[3]

[1] أريك إريكسون نقلا عن هاني الجزار: أزمة الهوية والتعصب (دراسة في سيكولوجية الشباب)، هلا للنشر والتوزيع، ط1، 1432هـ-2011م، ص32

[2] أشرف حافظ، الهوية والصراع مع الذات، دعوة للنهظة الفكرية وإعادة صياغة المفاهيم، دار كنوز للمعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012م، ص29.

[3] أريك إريكسون نقلا عن هاني الجزار: أزمة الهوية والتعصب (دراسة في سيكولوجية الشباب)، ص38.

1- "الإدراك المباشر لاستمرارية التماثل الداخلي ؛ بمعنى أنّ الفرد يدرك نفسه في الحاضر بوصفه غير مختلف عمّا كان في الماضي، أي أنّه هو هو نفس الشخص.

2- التيقّن من إدراك الآخرين لهذه الاستمرارية، أي أنّ الآخرين يرونه في الحاضر نفس الشخص الذي كان في الماضي.

3- ازدياد الثقة في استمرار تطابق ما بالداخل وما بالخارج، بمعنى أنّ تفاعلاته مع الآخرين تؤكد صدق إدراكه لذاته، بقول آخر تدعم إحساسه بالمماثلة الداخلية."

ومن هذا المنطلق فإنّ "أريك إيركسون " يؤكّد على أهمية الائتلاف بين الماضي والحاضر للانطلاق نحو المستقبل، فالهوية تقتضي إذا تواصل الماضي مع الحاضر كي تكون بمثابة قاعدة ينطلق منها الشخص لمواجهة مهام النمو مستقبلا، وعلى ذلك يفسر "أريك إريكسون "حركات الشباب بوصفها سعيا وراء ترسيخ استمرار هوياتهم بين الماضي والحاضر توجها نحو المستقبل.

نستنتج في الأخير، بأنّ الهوية من الناحية النفسية هي ما تجعل الفرد يعي ذاته، وهذا الوعي هو ما يعمل منه فردا معترف به داخل المجتمع.

انعكاسات تشظي الهوية على" إدوارد سعيد":

يعدّ سؤال الهوية واحدا من أبرز الخيوط الناظمة لمشروع " إدوارد سعيد" الفكري، الذي لاح في الأفق منذ المراحل المبكرة لحياته كاشفا عن أزمة هووية وذات متشظاة قلقة مضطربة، يحفها ارتباك الانتماء من كل حذب وصوب، حدث هذا قبل أن تتأتى له أسباب الحصانة المعرفيّة التي تمكّنه من الإجابة عن تساؤلاته التي تربكه وتكفل له الخيارات الصائبة، وترصد مساراته واتجاهاته ليتمخض عن تلك الذات المتأزمة، وبعد نضج فكري ورؤية استشرافية خالفت المعهود والمألوف، التي أطرت المشروع الهووي في مراحل سابقة. ومن خلال ما تمّ ذكره فيمكن طرح التساؤلات التالية:

- هل استطاع " إدوارد سعيد" من خلال كتابه " خارج المكان " استكناه عمق الهوية المتشظاة؟.

- هل لعب المنفى دورا مهمّا في حياة "إدوارد سعيد"؟.
- إلى أيّ مدى يمكن القول أنّ الهجنة الثقافية تحقّقت في عالم لا زال الصراع فيه محتدما بين العالمين (الشرق والغرب)؟.

لقد كان "إدوارد سعيد" يعاني من قلق وجودي يمسّ الهوية والانتماء والوطن،وذلك بعد إحساس بعدم الانتماء، وخاصة وهو في شقه الآخر الأمريكي، وذلك حتى بعد انتسابه إلى مدرسة القاهرة الخاصة بالأطفال الأمريكين.كونه حاملا للجنسية الأمريكية، فيقول:« انتسبت إلى مدرسة القاهرة للأطفال الأمرييكين في خريف العام 1946، بصفتي ابن رجل أعمال أمريكيا وأن لا أملك أدنى شعور بالانتماء إلى أمريكا.»[1]

وفي نفس السياق يؤكّد بقوله:«لكن قاطعني بلا رحمة: لا تجاوب ياولد. غادر المكان فقد، وغادره بسرعة، ممنوع على العرب ارتياد هذا المكان، وأنت عربي !". وحتى لو لم يسبق أن فكرت بنفسي بوصفي عربيا، فقد أدركت مباشرة آنذاك أن معنى النعت مفقد للأهلية حقا»[2]. فهو المنتمي وغير المنتمي لهذين العالمين (الشرق والغرب) في الوقت ذاته.

لقد كان شعور "إدوارد سعيد" بتعدّد الانتماءات والهويات واختلال الوعي بالوجود والذات، فلم يستطع بذلك أن يحدد موقعه ولا موقفه، ولا لأيّ فيلق أو جهة ينتمي، فاتجه إلى طرح أسئلة وجودية تنمّ عن قلق واضطراب هووي، وكان يرغب بقوّة لو أنّ جميع الفروقات والاختلافات الدينية والجغرافية، والجنسية تزول، ويثبت بقوله:«... ولقد امتلكني هذا الشعور المقلق بتعدد الهويات–ومعظمها متضارب–طوال حياتي، ورافقته ذاكرة حادة أني كنت أتمنى بشكل محموم لو أننا جميعا عرب كاملون أو أوروبيين أو أمريكيون كاملون أو مسيحيون أو أرثوذكسيون كاملون أو مسلمون كاملون أو مصريون كاملون وما إلى ذلك... ».[3]

[1] ادوارد سعيد: خارج المكان، ص113
[2] المصدر نفسه، ص72
[3] المصدر نفسه، ص28،27

لم تكن هذه الأسئلة الوجودية التي نطقت بها ذات "إدوارد سعيد" المتشظية، سوى بداية رحلة للبحث عن الكينونة التي أدركها في الوقت الذي وعى في عالميه (الشرق والغرب)، وأن هويته الضائعة هي كل ذلك الاختلاف والتعدد اللّذين سطرا وعي "إدوارد سعيد" بهويته وانتمائه في وقت مضى. حيث يقول:«...إلى هويتي غير المصرية المركبة، الملتبسة، بل والمريبة، وكوني عادة في غير مكاني، أمثل شخصا بلا ملامح محددة ولا وجهة معروفة أتجه إليها »[1] ، فإدوارد سعيد رغم تواجده في غير مكانه، إلاّ أنّه كان يشعر بالحنين إلى وطنه في جميع الأوقات.

لقد كان انتقال" إدوارد سعيد" مع عائلته من مكان إلى آخر، بحكم دراسته أو عدم استقراره في مكان واحد، هذا ما سهّل عليه الاحتكاك بثقافات أخرى، والتعرّف على عادات وتقاليد، واختلاطه بأجناس وأعراف أخرى، لتغدو بذلك الثقافة الواحدة مركبا هجينا وخليطا مولدا من عدة ثقافات وجغرافيات لتكرّس التجربة الإمبراطورية الاستعمارية هذا المنطق أكثر فأكثر، وتنتج بذلك ثقافات يبدو أنّ: «فكرة التعددية الثقافية أو الهجنة التي تشكل الأساس الحقيقي للهوية اليوم. لا تؤدي بالضرورة دائما إلى السيطرة والعداوة بل تؤدي إلى المشاركة، وتجاوز الحدود وإلى التواريخ المشتركة والمتقاطعة. وإنه لعلى قدر كبير من الأهمية أن تتذكر ذلك في وقت يحاول متطرفون مثل"صامويل هنتغن" أن يقنعوا العالم باصطدام الحضارات أمر محتوم لا مفرّ منه».[2] وفي نفس السياق يؤكّد"إدوارد سعيد" إلى عدم الارتكان والاستقرار في المكان الواحد، وإلى تخليص النفس من الحنين البدائي للأوطان، ويتجلى ذلك بقوله:« ...وهذا ما محض أيامي الأمريكية إحساسا بعدم الديمومة، وعلى الرغم من أني أمضيت ثلاثة أرباع السنة في الولايات المتحدة، فإن القاهرة كانت دائما هي المدينة التي تقترن في ذهني بالاستقرار». [3]ويؤكّد على ذلك بقوله:«ويمتلكني شعور بأنّ كل واحد منهم يحذق إلي باستهجان وفضول غير مبررين. من هو هذا الشخص؟ تخيلتهم يتساءلون إنّه مجرد صبي عربي مسكين. فما الذي جاء به إلى مدرسة

[1] ادوارد سعيد: خارج المكان، ص91

[2] ادوارد سعيد: الثقافة الامبريالية، ص10

[3] ادوارد سعيد: خارج المكان، ص291

للأطفال الأمريكيين؟ ومن أين جاء؟»[1]، كل هذه التساؤلات انطبعت في ذهن "إدوارد سعيد" ما إذا كان يحمل جنسية عربية أم أمريكية.

يلخص" هوغو أفاسان فكتور" –وهو راهب ساكسوني عاش في القرن الثاني عشر–شخصية الإنسان ومدى نضجه ووعيه عبر رصد علاقته بالوطن والمكان فيقول :«... إنّ المرء الذي يجد وطنه حلوا ما يزال مبتدئا غضا، وأمّا من يكون له كل ثرى مثل ثرى بلده الأصلاني فلقد اشتد عوده، لكن الكامل هو الذي يكون العالم كله بالنسبة له مكانا أجنبيا. إنّ الروح اليافع قد ركز حبه على بقعة واحدة من العالم والشخص القوي قد نشر حبه على الأمكنة كلها، وأما الرجل الكامل فقد أطفأ شعلة حبه »[2].

إنّ المنفى يستند إلى وجود موطن المرء الأصلاني، وحبّه له ووجود وشائج حقيقية معه، والحقيقة الكونية للمنفى لا تكمن في أنّ المرء فقد ذلك الحبّ أو الموطن، بل بقيّ يشعر بوجوده داخل ذاته،حيث يقول:«ذلك أنّ المدرسة الأمريكية أجبرتني على أخذ "إدوارد سعيد" على محمل الجدّ أكثر من ذي قبل بما هو كائن معطوب وفزع وضعيف الثقة بالنفس. وكان الشعور العام المسيطر علي هو شعوري بامتلاك هوية مضطربة، أنا الأمريكي الذي يبطن هويته عربية أخرى لا تستمد منها أيّة قوة بل تورثي الخجل والانزعاج »[3] ، ويؤكّد على ذلك بقوله أيضا:« يوما بعد يوم في المدرسة أخذت أشعر بالتفارق بين حياتي الشخصية، أنا " إدوارد " ذا الهوية المزورة بل الإيديولوجية، وحياتي في البيت، حيث تعاظمت ثروة أبي بعد الحرب، لكونه رجل أعمال أمريكا».[4]

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان ، ص120، 121

[2] إدوارد سعيد: الثقافة الامبريالية، ص391

[3] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص125

[4] المصدر نفسه، ص125.

لقد كان "إدوارد سعيد" يعيش حالة من الاضطراب بين هوية عربية شرقية وبين هوية غربية أمريكية، فهو بذلك لم يكن يملك هوية محدّدة، وربما يكون هذا ما دعا البروفيسور" جورج شتاينر" إلى القول :« إنّ "إدوارد سعيد" نصّ مفتوح على العالم»[1].

يتّضح من خلال هذا القول ،بأنّ " إدوارد سعيد" كان منفتحا على العديد من الثقافات الأجنبية، فهو في علاقة تأثير وتأثّر مع الآخر.

لقد تلقى "إدوارد سعيد" تعليمه على الدوام في مدارس إمّا إنجليزية أو فرنسية إلّا أنّه كانت هنالك مشكلة في تعليمه، إذ مع بلوغ الثالثة عشر من العمر أو ما يقارب ذلك، فقد كان ما يمكن تعلمه عن التاريخ الإنجليزي أو التاريخ الفرنسي، رغم أنّه لم يكن يفقه شيئا عن المكان الذي يعيش فيه، وهذا ما دعا إلى إحساسه المستمرّ حول هويته العربية الضائعة. ويثبت ذلك بقوله:«... إلى هويتي غير المصرية المركبة، الملتبسة، بل والمريبة وكوني عادة في غير مكاني. أمثل شخصا بلا ملامح محددة ولا وجهة معروفة أتجه إليها. فبدت أمي كأنها تتمثل محنتي العمومية وتتعاطف معي، وكان هذا يكفيني دعما مؤقتا أعتز به كبير اعتزاز»[2]، وبهذا فقد جسّدت "أمّه" الصفات والملامح العربية التي يلتجأ إليها عند إحساسه بالغربة. ومع ذلك فقد كان يعيش هو وأخواته الأربع في عالم من صنع الخيال لا علاقة له بالواقع. ولا بتاريخ وحقيقة الأماكن التي كانوا يقيمون فيها ويتجلى في قوله:«وعلى الرغم من أنّي كنت أشعر بانحصار وطأة التنظيم المحكم للمكان والزمان.وهو تنظيم كان محور حياتي في مصر، فإني لم أستطع الاستمتاع كليا من ذلك التحرر النسبي منه الذي عشته في القدس.كنت أرى إقامتي المقدسية سارة، لكن يعذبني فيها أنّها طليقة ومؤقتة بل وزائلة وقد تبين فعلا كذلك. »[3] ، وفي نفس السّياق يقول: «... لكن ذلك

[1] إدوارد سعيد: الثقافة و المقاومة،المرجع السابق، ص6.

[2] ادوارد سعيد: خارج المكان، ص91

[3] المصدر نفسه، ص47

ألزمني بأن أرى إلى نفسي هامشيا، وغير أمريكي، ومنبوذا ومعيبا، تحديدا في الوقت الذي صارت فيه السياسة في العالم العربي تلعب دورا متزايدا الأهمية في الحياة الأمريكية» [1].

يتّضح من خلال هذا القول، بأنّ " "إدوارد سعيد" هو العربيّ الغير مرغوب فيه والذي يتعرض لممارسات عنصرية من طرف الاستعمار.

لم يكن " إدوارد سعيد" يتوقع بأنّه سيتعرض لموقف يشعره بالحزن، وذلك من خلال احتقار لهويته الأصلية وتهميشها، ومحاولة إنكارها وطمسها من طرف الصهاينة، رغم أنّ قصة حياته هي القصة الهوية ،«... وكان أحد الأسئلة الروتينية التي وجهها إلي الموظفون الإسرائيليون –لما كان جواز سفري الأمريكي يشير إلى أنّني ولدت في القدس– هو الموعد المحدد الذي غادرت فيه إسرائيل بعد الولادة. فكنت أجيب أنيّ غادرت فلسطين في كانون الأول / ديسمبر 1947. مشدّدا على كلمة " فلسطين". هل لديك أنسباء هنا؟ كان السؤال التالي الذي أجبت عليه ب: "لا أحد " وقد امتلكني شعور من الحزن والخسران لم أكن أتصور أنيّ سوف أختبره» [2].

لتحمل هذه التساؤلات والاعتراضات المضادّة في القول «أن يكون الإنسان عربيا هو أن يشعر بأنّه عربي فعلا عندما يتعرض شعب أو فرد عربي لعدوان أجنبي، وهذا الشعور الذي يهيمن في أوقات الأزمات لا يتناقض مع النزوع نحو الوحدة العربية... بل إنّ هذا النزوع ليس شيئا آخر سوى التعبير الايجابي عن ذلك الشعور خارج أوقات الأزمات» [3]، وبذلك هل الهوية شيء آخر غير ردّ الفعل ضدّ " الآخر" ونزوع حالم لتأكيد " الأنا" بصورة أقوى وأرحب، فالعربيّ ليس وجود جامدا ولا هو ماهية ثابتة جاهزة، إنّه هوية تتشكل وتصير.

ففي سيرته الذاتية" خارج المكان" أكّد على فلسطينيّته ونضاله المستمرّ في التحدّث باسم الكثير من الفلسطينيين اللاجئين والمنفيين، والمشرّدين في جميع أنحاء العالم محاولة منه إثبات هوية قومية أصبحت صعبة المنال في خضم

[1] ادوارد سعيد: خارج المكان، ص306

[2] المصدر نفسه، ص20

[3] محمد عابد الجابري: مسألة الهوية العروبة والإسلام، الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 1433هـ، أيلول/ سبتمبر، 2012، ص16، 17.

الانقسامات والتشتّت والتشرّد حيث يقول: «... كنت في لندن للمشاركة في ندوة دعوت إليها مثقفين وناشطين فلسطينيين عشية مؤتمر مدريد. في أعقاب حرب الخليج، والموقف الانتحاري الذي اتخذته القيادة الفلسطينية بوقوفها إلى جانب صدام حسين... فكان غرضي من الندوة إثارة مجموعة من الموضوعات المشتركة التي من شأنها دفع مسيرتها إلى الأمام نحو تحقيق حقنا كشعب في تقرير المصير»[1].

كان كاتب منفى متمرّدا على منفاه، واقفا عند حدود العالمين، دون أن ينزاح إلى أيّ منهما، دائم الانشغال بمواضيع تخص عالمه الأوّل العربي، دون أن ينسى عالمه الذي يعيش فيه، يقول في كتابه " الثقافة والامبريالية": «لقد نشأت لأسباب موضوعية لم يكن بوسعي السيطرة عليها، عربيا ذا تعليم غربي، ومنذ أقصى لحظة أستطيع استذكارها، أحسست بأنّني أنتمي إلى كلا العالمين، دون أن أكون كلية جزءا عضويا من أي منهما ... بيد أنني حين أقول " منفي" فأنا لا أعني ما هو حزين أو محروم بل على العكس، ذلك أن انتمائك إلى كلا ضفتي الفالق الإمبريالي يتيح لك أنّ تفهمها بسهولة أكبر»[2]. يتّضح من هذا المنطلق، أنّ الحياة " إدوارد سعيد" متناقضة، فمهما أراد المرء أن يحصر شخصيته ويعطي بطاقة هوية له في مكان معين أو لغة معينة، فهو أمريكي وهو فلسطيني، ثم إنّه ليس بأمريكي ولا فلسطيني؛ أي أنّه لم ينتم إلى اليمين المتمثل في العالم العربي، وفي الوقت ذاته لم ينتم إلى اليسار العالم الغربي، «لم يكن الشوق إلى القاهرة ما حفزّ مسيرتي لأنّني كنت لا أزال أتذكر بحدّة كبيرة المفارقة التي لازمتني، دائما هناك بصفتي اللاّعرابي، والأمريكي اللامريكي، وقارىء الانجليزية ومتكلمها الذي يناضل ضد الانجليز، أو بصفتي الابن الذي يضرب ويدلل في آن معا»[3].

[1] ادوارد سعيد خارج المكان، ص267

[2] ادوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، ص71

[3] إدوارد سعيد:خارج المكان، ص292.

يتبيّن من خلال هذا القول،أنّ منفى " إدوارد سعيد" لم يقتصر على منفى المكان فقط، وإنّما عاش المنفى داخل عالمه العربي، أي أنّه منفى مزدوجا: منفى المكان واللغة؛ لأنّه نشأ على العربية وكتب باللغة الانجليزية، وبذلك فقد كان يعيش مجزّء ومشطورا، فالجسد مقيم حيث ولد والعقل يتغذى من عالم لم يولد فيه، ومن ثقافة ليست ثقافته.

إنّ الإحساس بعدم الانتماء في القاهرة ولّد لدى " إدوارد سعيد" شعور بأنّه خارج حدود المكان باعتباره لا يملك هوية مثل أيّ إنسان آخر، وقد استمرّ هذا القلق الهووي عندما تعرض جسده لكمّ من الإصلاحات من خلال نظره والديه إلى جسده على أنّه يعاني تشوهات لابدّ من إصلاحها، « كان أبي هو الذي بادر تدريجيا إلى محاولة إصلاح جسدي، بل وإعادته تكوينه من الأساس على أن أمي نادرا ما اعترضت على ذلك، بل أخذت تدور بجسدي بانتظام من طبيب إلى آخر. وإذ أستذكر وعي لجسدي منذ سن الثامنة فصاعدا، أراه منسجما في نظام صارم من التصحيحات المتكررة، تمت كلها بأمر من أهلي ... ذلك أن " ادوارد سعيد" كان في كيان بشع مشوه من كل علل».[1]

يمثل جسد " إدوارد سعيد " في هذه الحال هويته العربية المحكوم عليها بالضعف، مشفوعة بقبول الإصلاح من قبل ذات غربية قوية، همّها تقويم اعوجاج هذه الذات وجعلها أكثر انسجاما مع ذات غربية تعيش في بيئة عربية، إذا فهي قمة المفارقة. حين عودتنا إلى السيرة الذاتية (خارج المكان) والطريقة التي سرد بها "إدوارد سعيد" اعوجاج جسده، وكأنّ الذات العربية التي سكنت جسده في القاهرة تتعرض للتعديل من جهة نظر أبيه صاحب الجنسية الأمريكية وبذلك تكون شرعية السلطة الكولونيالية على الشرق، فجسده يتعرض للإصلاح ليأخذ شكل الأمريكي وهنا يقع أفضل تجسيد لهيمنة الآخر على الذات وجعلها ترضخ لسلطة من يمتلكون القوة، وكأن جسده يمثل الشرق في حين والده يمثل الغرب .فوالده، « عندما كان في الولايات المتحدة الأمريكية، تأثر أيّما تأثّر " بغر

[1] ادوارد سعيد، خارج المكان، ص92

يغوري سانداو"، بطل كمال الأجسام الأسطوري ذي الصدر المتضخم النمو والظهر المستقيم، الذي مثل في فيلم " عوليس" فقال لي أبي ذات مرة : إن ما يصلح لسانداو يجب أن يكون صالحا لك».[1]

لقد كانت النظرة الغربية للدول العربية على أنّها دونية ولن ترقى إلى صفة الإنسانية والتقدم، ومادام "إدوارد سعيد" قد تلقى تعليمه في مدارس أجنبية رأى أنّه في غير مكانه بفعل ما كان يمارسه هؤلاء من تمييز وعنصرية للإنجليز على العرب المتواجدين في أمريكا، «بعد عودتي المحبطة إلى فكتوريا كولدج لقضاء ما تبقى من العام الدراسي 1950-1951، وضعت في حال إنذار، كما سارع غريفيت إلى إبلاغي محرجا. وقد عنى ذلك إبلا غ كل معلم من المعلمين بوضعي المهدد، فإذا هو يذكرني بانتظام، عند أيّة بادرة تململ خير لك أن تتذكر ذلك وتحسن التصرف في مثل هذا الوضع المزعج، تعرضت للنقار والتنمر والسخرية ... »[2] ،وفي نفس السياق يؤكّد بقوله: «... قدومي إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1951، لست أملك إلا فكرة غامضة جدا عما كانت ستؤول إليه حياتي لو أني لم أجيء إلى أمريكا، ولكن الذي أعرفه أنّي بدأت فيها بداية جديدة، متناسيا إلى حد ما، ما تعلمته من قبل، لأعيد تعلم الأشياء ابتداء من الصفر، مبتكرا، مخترعا ذاتي، أحاول وأفشل... ولا أزال إلى هذا اليوم، أشعر بأنني بعيد عن البيت ... ومع أني لست متوهما أني كنت سأعيش حياة أفضل لو بقيت في العا لم العربي، أو عشت ودرست في أوروبا».[3]

لذلك كانت الهوية العربية بعثا للإحراج في مدارس الكولونياليون لأنّ الهوية الغربية هي الهوية المركزية المتحضرة والمشعة ثقافيا في حين كانت صورة العربي تمثل الهامش في نظرهم.

يتّضح من خلال مذكرات " إدوارد سعيد"، أنّ الاغتراب الذي عاشه في نيويورك، لم يمنعه من الحرص الدائم على بناء وتطوير حياة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك حتى لا يبقى غريبا عن الحياة

[1] ادوارد سعيد خارج المكان، ص96.
[2] المصدر نفسه: ص282.
[3] المصدر نفسه، ص276.

النيويوركية ولا يشعر بأنّه غريب عن هذا المجتمع، فهو تارة يرى في نيويورك لحظة اغتراب عن هويته لانفصاله عن الوطن، وتارة أخرى يرى فيها ملاذه إلى التحرر، وهو الذي يقول في مذكراته «لما عدت إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك بسنوات وأقمت فيها مند ذلك الحين ... نجحت في أن أفصل ذهنيا الدعم الأمريكي لإسرائيل وبين كوني مواطنا أمريكيا يمارس مهمته في الولايات المتحدة وله أصدقاء.. » [1].

لقد لعبت الثقافة دورا مهمّا في حياة " إدوارد سعيد" لتغدو بذلك سلاحا مهمّا، فهي تختزل معنى الهوية؛ أي أنهما متلازمان فغياب إحداهما يعني غياب الآخر وحضور إحداهما يستدعي بالضرورة حضور الثانية، فثقافة أي أمة هي هويتها على نحو ما،يبين، بقوله:«إن المنتجات العظيمة للثقافة هي منتوجات محسوسة واستثنائية، وبالإشارة إلى الأعمال الجمالية فإنه يمكن لهذه النتاجات أن تكون أعمالا عظيمه من إبداع الخيال»[2].

وعند الحديث عن الثقافة، لابدّ أن نذكر أنّ " إدوارد سعيد" قد « تمكن من اختراق حجبا التقاليد الغربية التي شيدت على مدى عقود طويلة في القرنين الماضيين، وكيف استطاع أن يحول الأنظار إلى ما هو حيوي وكوني».[3]

وعلاوة على ذلك فإنّ لكل أمّة ثقافتها التي تميّزها عن غيرها، فكل أمة انفردت بهويتها الثقافية والتي تقوم على مقومات ثابتة والتي تنحصر مثلا: في اللغة والدين والتاريخ، فهي« حجر الزاوية في تكوين الأمم، لأنّها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار حتى لو توفرت الإدارة السياسية»[4]. لقد كان "إدوارد سعيد" يسيطر على الصراع بين الثقافة التي ولد فيها، والثقافة التي عاش فيها، فهذه الثقافة نتيجة التداخل والتمازج بين العددي من الثقافات ولأعراق مختلفة على نحو ما يستذكر " إدوارد سعيد" بقوله: «كل المدارس التي عرفتها صبيا كانت مليئة بأناس من أعراق مختلفة، كان من الطبيعي تماما بالنسبة إليّ أن أكون في المدرسة مع أرمن

[1] ادوارد سعيد: خارج المكان، ص182 .
[2] ادوارد سعيد: الثقافة والامبريالية، ص10.
[3] ادوارد سعيد: الثقافة والمقاومة، ص8 .
[4] محمد عابد الجابري: مسألة الهوية والإعلام، والغرب، ص11 .

ومسلمين وطليان ويهود ويونان لأن ذاك كان هو الشرق وهكذا نشأنا هذه الروح الثّقافية والعنصريّة الجديدة التي نجدها الآن هي نتاج جديد نسبيا وغريب تماما علي. وأنا أكرهها».[1]

لقد قدّم لنا " إدوارد سعيد " مساهمة جلية في مجال الثقافة شهد العالم بها، وذلك باعتباره أوّل مثقفا يلتقي بإسرائليين وصهاينة أمريكيين، حيث يتمثل إرثه الثقافي في العديد من المؤلفات التي ألفها،بقوله: «ظهرت مؤلفات عديدة لي" إيلي كولبرتون" في أماكن مختلفة من شقتنا القاهرية» [2]،بالإضافة إلى تأليفه كتاب الثقافة والإمبريالية وغيرها من الكتب. فقد كان شديد الاهتمام بقراءة الكتب والروايات، ويؤكد بقوله: «وفيما أنا أطالع رواية الإخوة كارامازوف اكتشفت فيها تصويرا للخلاف العائلي الدائر بين أبي وشقيقته وأبنائها»[3].

وفي نفس السّياق فقد طالع كتاب الأعمال الكاملة لشكسبير " المجموعة في مجلد واحد الذي هو عبارة عن مجموعة من المسرحيات والذي عمد إلى تمثيلها وهو في مقتبل العمر« جلسنا أنا وأمي في مقدمة غرفة الاستقبال نقرأ في " هاملت" معا، هي في كرسي كبير ذي ذراعين ... هي مثلت دور " جير ترود" و" أوفيليا"، وأنا مثلت أدوار هاملت، وهوراشيوا وكلاوديوس... »[4].

وعلاوة على ذلك نجد العديد من الأعمال الفنية التي انخرط فيها مثل الأفلام، وحكايات الجن والقصص التوراثي وكتاب الأساطير الإغريقية الذي تلقاه هدية في يوم ميلاده السابع، وقد فتح أمامه هذا الكتاب الميثولوجي عالما جعله يعيش مع المتخيل الأسطوري الإغريقي، بالإضافة إلى الأفلام ولاسيما مغامرات ألف ليلية وليلة ومسلسل لجوبي وبيسوملر،كما أختبر سعيد المسرح في سن مبكرة مع تلك العروض المسرحية التي تقدمها المدارس. إن "إدوارد سعيد" لم يكن ينتمي إلى الثقافة الانجليزية وفي الوقت نفسه ينتمي إليها من حيث اللباس والمدارس التي كان يدرس فيها والأفكار التي يتلقاها عن الثقافة الانجليزية؛ إلا أنه في نظر الإنجليز الكولونياليين ذو هوية عربية

[1] إدوارد سعيد: القلم والسيف، تر:توفيق الأسدي، دار كنعان للدراسات والنشر،دمشق،ط1998،1 ،ص18، 19

[2] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص55

[3] المصدر نفسه، ص277

[4] المصدر نفسه، ص80

مصرية، وهو أيضا كان يشعر بذلك «وقفنا ننتظر إشعال النيران وتجهيز المارشميلوز و الهوت دوغز للشواء، وأنا يتملكني شعور بالوحشة اللاهادفة. أين أنا ؟ ما الذي أفعله هنا في مخيم أمريكي لا صلة له البتة بهويتي أو حتى بما صرت إليه بعد ثلاث سنوات من ارتياد مدرسة أمريكية في القاهرة ».[1] وبذلك فلكل أمة ثقافتها التي تميزها عن غيرها.

إنّ تنامي الإحساس بأهمية الوطن عند " إدوارد سعيد" يستمرّ بالنضوج، وذلك باعتبار أنّ الوطن هو الذي يعطي الإنسان قيمته ويصنع بعد ذلك هويته، وفي غمرة الضياع والتشتّت والانشطار التي كان يعاني منها" إدوارد سعيد"، فقد كان في أحوج ما يكون للإحساس بدفئ الوطن، لكي يمارس وطنيته الفلسطينية كأي مواطن آخر«فالوطنية هي فلسفة الهوية وقد جعلت هوى منظما على نحو جمعي. والوطنية بالنسبة لأولئك الذين برزوا للتو من الهامشية والاضطهاد هي شيء ضروري: فالهوية التي طال إرجاءها وإنكارها تحتاج لأن تخرج إلى العلن وتأخذ مكانها بين الهويات الإنسانية الأخرى»[2]. وفي نفس السياق يؤكّد " إدوارد سعيد"بقوله: «وكنت أستذكر التلميح إلى أنّني أجنبي نوعا ما. مع أني أدرك في العمق أنهم يعتبرونني أجنبي، على الرغم من أني عربي،.... فقد رفضت هذا التعبير بسبب نمو إحساسي بهويتي الفلسطينية ....»[3]. يتّضح من هذا المنطلق، أنّ " إدوارد سعيد" قد كان يشعر ببعده عن وطنه، وباضطرابات وتشظي وانشطار هويته، إلى أيّ طابور عليه أن يتجه نحوه، والأحرى إلى أيّ بلد هو ينتمي إلى موطنه الذي ولد فيه (القدس)، أو إلى مكان هجرته(الولايات المتحدة الأمريكية)، فهو بحاجة إلى هوية قومية تحتضن كيانه، وبها تكون وتشكل هويته التي تعاني الشرخ والضياع، ذلك أنّ «القومية هي

[1] ادوارد سعيد: خارج المكان ، ص177.
[2] إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى، المرجع السابق، ص244-245.
[3] ادوارد سعيد: خارج المكان، ص244.

تأكيد على الانتماء إلى مكان، وشعب، وتراث، وهي تؤكد على الوطن الذي خلقته جماعة تتقاسم اللغة، والثقافة والعادات...» [1].

لقد كان " إدوارد سعيد" يلجأ في كثير من الأحيان إلى " أمه"، التي كانت تسانده في جميع الأوقات وخصوصا عند ما كان يشعر بالوحدة والضياع والحزن، فهي كانت تمثل ملاذه الأوّل في جميع مراحل حياته: «ظلت أمي تشكل مرجعا لي معظم الأوقات وبطرائق لا أعيها تمام الوعي ولا أفهمها على نحو محدد»[2].

فالأمّ عنده ترمز إلى الوطن، والأم البيولوجية على حد سواء، فكانت بالنسبة له بؤرة الحنان ومرجعيته التي يستمد منها قوته، ممّا عزّز لديه روح الانتماء إلى وطنيته القومية العربية.

كان شغف " إدوارد سعيد" بالموسيقى كفيلا بإخراجه بعيدا عن ضغوطات العائلة والمدارس ذات النظام الصارم، التي كان يرتادها، فقد تعلم عزف البيانو وهو طفل، وكانت أسطوانات الموسيقى الكلاسيكية، الصديق الأهم الذي حرص " إدوارد " على التواصل معه في كل الظروف، وعلى الرغم من صغر سنه فقد كان يستمع لتسجيلات كبار المغنين والملحنين العالميين، حيث تمثل الموسيقى بالنسبة له« متعة وهواية، استطاع من خلال تكوينه العميق فيها أن يعمل عازف ثم قائد أوركسترا. ولم تكن ممارسته للموسيقى منفصلة عن فكرة السياسي أو توجهه الكتابي، فمصطلح الطباقية استقاه من الموسيقى، من خلال إمكانية الجمع بين نوتين مختلفتين، ومتصارعتين في نفس الوقت»[3]، فالموسيقى جعلت منه يشعر والعقل يفكر حيث يقول:«وكنت قد بدأت أيضا في تذوق الموسيقى الكلاسيكية بجدية كبيرة. على أنه في تعلمي دروس البيانوا، وقد بدأتها في السادسة، اختزلت ملكت ملكتا الذاكرة والميلوديا عندي إلى التدرب على السلالم الموسيقية وممارسة تمارين " سزيرني"، وأمي حادبة

[1] ادوارد سعيد: تأملات حول المنفى، المرجع السابق، ص120-121.

[2] ادوارد سعيد: خارج المكان، ص355.

[3] ادوارد سعيد: الهجنة، السرد، الفضاء، الإمبراطوري، إشراف إسماعيل مهنانة، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص154

عليّ أو جالسة إلى جانبي. فكانت النتيجة شعوري المتزايد أن ثمة ما يعوق تنميته شخصي الموسيقية»[1]. ومن هذا المنطلق فقد كان اندماج " ادوارد سعيد" في هذا الجو الأدبي الغامر، إلي يعمل على إثارة العواطف، والانفعال بالأشياء، ممّا كون له بعد الأثر في تحسين طباعه، وتعديل مسار حياته نحو الأفضل، فنجد " إدوارد سعيد" «يعتبر تجربة الأوركسترا ثقافية وسياسية في نفس الوقت، ففيها انكشف الصراع بين العرب والإسرائيليين، وبين العرب في حدّ ذاتهم، من خلال نقاشات علنية، أو من خلال حصص العزف التي جمعتهم. فكان مدار الصراع بين قدرة الإسرائيليين أن يعزفوا الأنغام العربية، وقدرة الموسيقى أن تنفض كل ذلك، فكانت التجربة الموسيقية محفوفة بصدمات ثقافية بين الإسرائيليين والعرب»[2] ، ولما كان الجمهور محبا للموسيقى، فكانت المهمة بذلك تستدعي جمع المتنافر، العربي والإسرائيلي، وعلاوة على ذلك فإنّ «هويات مختلفة حلت محل هوايات أخرى. كانت هناك مجموعة إسرائيلية، ومجموعة روسية، ومجموعة لبنانية، ومجموعة فلسطينية، ومجموعة من فلسطيني إسرائيل. كلهم أصبحوا فجأة مجرد عازفي فيولونسيل وكمان، يعزفون المقطوعة نفسها في الأوركسترا نفسها مع القائد نفسه»[3]، وبذلك استطاع أن يجسد حلمه في جمع المتنافر المتناحر في الواقع السياسي، من خلال جلال وجمال الموسيقى، وما لم تجسده محاضراته ولقاءاته الإعلامية وكتاباته الأكاديمية، في تقريب الثقافتين الفلسطينية والإسرائيلية استطاعت بذلك الموسيقى أن نفعل العكس.

لقد كان"إدوارد سعيد" منجذب إلى الموسيقى والإيقاع، ويميل إلى الأدب والأعمال الفنية الجمالية التي تشبع رغبته، فقد كان يشعر في كل لحظة من لحظات حياته بأنغام الموسيقى التي تحرك عواطفه وخياله الفني ولغته، حتى دون أن يفهم سبب لذلك، يقول في هذا الشأن: «... كما أثارتني الموسيقى ذاتها من حيث الأداء والانضباط الشّكلاني، على أنّ ما أثار فضولي بنوع خاص هو حلبة الفرقة الموسيقية، تتوسطها منصة القائد

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص62.

[2] إدوارد سعيد: الهجنة السرد، الفضاء الإمبراطوري، المرجع السابق، ص155

[3] المرجع نفسه، ص156

وعليها دفتر المقطوعات الموسيقية الكبير المفتوح وعصا القائد الطويلة.»[1] يتّضح من خلال هذا القول، أنّ الموسيقى تشكل بالنسبة إليه جزءا من الحياة التي كان يعيشها.حيث كان يحضر إلى حفلا مغنيين، ويستمع إلى تسجيلاتهم « وبالمقارنة،فإن تسجيل"ستوكوفسيكي" لسيمفونيه بتهوفن التاسعة التي أنشدت فيها الجوقة قصيدة شيللر "نشيد للفرح" بالانجليزية (افرحي، أنت، ياابنة النعيم) قد أبهجني بتفسيره للحرية وباللغر المرعب للفواصل الخماسية الطليقة، فأصغيت والحسد يتآكلني إلى السهولة الروتينية التي ترقى بها الأوركسترا السلالم الموسقية ...» [2] وبذلك فإنّ تأثير الموسيقى أعمق في النفوس وذلك عند الهروب من الحياة من جهة والغوص في الخيال من جهة أخرى، فتشظي الذات عند " إدوارد" أنتجت كل هذا الإبداع الفكري الفني والموسيقى، ومن هذا المنطلق فقد ظلت الموسيقى إلى جانب القضية الفلسطينية، والتي عدّها " إدوارد سعيد" من أكثر الفنون ثباتا وأصالة في حياته«فأنا أعرف من خبرتي الخاصة للموسيقى مدى ارتباط ذلك الفن بالمجتمع وبالثقافة بصفة عامة، وإن كنت أدهش للتحليلات "التجريدية" المذهلة ...»[3]. ولعلّ هذا ما يؤكّد شغف " إدوارد سعيد" بالموسيقى «وفي عيد ميلادي الخامس عشر عام 1950، أهداني والدي كتاب: بيرسي شول دليل أكسفورد للموسيقى الذي ما أزال أحتفظ به، فعثرت فيه على نبذة مختصرة جدا عن فورتقا نفلر(قائد أوركسترا أماني ولد عام 1866).... »[4].

ف "إدوارد سعيد" يعتمد على خبرته الخاصة في العزف على البيانو، وهو من المشهود لهم بالبراعة في مجال الفن والموسيقى، وهو الذي يبدو أنّه يتجاوز المجتمع وإن كان محكوما في الواقع بهذا المجتمع الذي تنشأ فيه.

وعلاوة على ما سبق ذكره فإنّ الموسيقى هي التي تصور لنا الأحاسيس والمكنونات الثانوية في عوالم النفس الداخلية بأنغامها، وبتركيباتها الفنية، ولعلّ هذا ما لجأ إليه " إدوارد سعيد" عند العزف فإنّه يحاول ابتكار الأنغام، والإبداع فيها لأقصى حد، وذلك عندما تطرق إلى مصطلح " القراءة الطباقية" والذي استوحاه من الموسيقى

[1] خارج المكان: ادوارد سعيد، ص86

[2] المصدر نفسه،ص138،137.

[3] ادوارد سعيد: تغطية الإسلام، المرجع السابق، ص19-20

[4] ادوارد سعيد: خارج المكان، ص141

لأجل مقاربته في دراسة الأدب، وقد اعتمد في تقديم شرح لهذا المصطلح من قاموس pingouin الجديد للموسيقى: «الاستعمال المتزامن للحنين (ميلودي) أو أكثر لإنتاج المعنى الموسيقي، بما يسمح بالقول عن أحد الألحان إنه النقطة المضادة ل، أو في حالة تضاد مع، لحن آخر وهكذا فإن التضاد المزدوج هو أن يكون لحّان أحدهما فوق الآخر، قابلين لتبادل موقعهما؛ ومثل ذلك التضاد الثلاثي والرباعي...»[1].

يتبيّن من هذا المنطلق، أنّ الموسيقى تعبير عن الأفكار الموسيقية، وأيضا وسيلة مبتكرة لتجسيد الأحاسيس والمشاعر كما لا ننف أن في إمكان الموسيقى أيضا إزالة التنافر والتضاد المجسد فوق أرضية الواقع على الرغم من أنّها هي نفسها تنطوي على هذه الخاصية التضادية .

هذا المنظور الطباقي الذي يرى فيه " إدوارد سعيد" « في النقطة الطباقية للموسيقى العريقة الغربية، تتبارى وتتصادم موضوعات متنوعة إحداهما مع الأخرى، دون أن يكون لأي منها دور امتيازي إلا بصورة مشروطة مؤقتة، ومع ذلك يكون في التعدد النغمي الناتج تلاؤم ونظام ....»[2].

ولعل هذا ما يبرر لجوء " إدوارد" إلى النظير الطباقي، والذي ربطه بالموسيقى فقط؛ أي أن تقول شيئين في آن معا وعلى ربطه بالموسيقى فقط؛ أي أن نقول شيئين في آن معا وعلى نحو شامل، ويمكن التماس ذلك ليس فقط في الصمت الطاغي وإنما الصوت الذي يوازيه« إنّه الاستعمال المتزامن للحنين أو أكثر بغية إنتاج المعنى الموسيقي بما يسمح بالقول عن أحد الألحان، إنه في حالة تضاد مع لحن آخر »[3]،-كما هو معروف أيضا عند العرب-أنّ الطباق يشير إلى علاقة تضاد دلالي بين الكلمات. لكن هذه الطباقية الموجودة في الموسيقى، هي التي أوحت "لإدوارد سعيد " بفكرة وجودها أيضا في أرض الواقع، بعيدا عن عالم الأفكار.

[1] ادوارد سعيد: الثقافي والامبريالية، المرجع السابق، ص20

[2] المرجع نفسه، ص20

[3] ادوارد سعيد: تأملات حول المنفى، المرجع السابق، ص13

وبذلك فهي(الموسيقى) قد منحت " إدوارد" القدرة ومكنته من الهروب خارج صراعات الحياة، وبعيدا عن ضغوط الظروف والوقائع من جهة، لكنها أيضا مكنته من الإحاطة بعالمها السحري والاندماج داخل نواتها وإيقاعاتها ممّا عزّز هويته، حيث يقول في هذا الصدد: «و يخيل إلي هذا الانشقاق بين شعوري تجاه الموسيقى وبين ممارستي الفعلية لها قد شحد ذاكرتي إلى حد بعيد، وهو ما سمح لي بأن أحفظ، ثم أن أؤدي على السمع عدا كبيرا من المؤلفات الموسيقية المعدة للأوركسترا والأدوات والغناء وأن أفقه الكثير عن تأليفها أو مميزات أسلوبها».[1]

فالموسيقى بشكل عام تجمع تحتها أشكالا مختلفة من البنيات الثقافية التي لا تنتمي إلى بعضها، ومن الأعراق التي طالما كانت وأصبحت من نظرية ما بعد كولونيالية. إذ أنّ الموسيقى استطاعت أن تزرع في داخله (إدوارد سعيد) نوعا من الراحة والاستئناس. فالقضية إذا، هي تواجد ووجود كيفية الاستمرار والتأقلم مع العالم الأمريكي الذي عاش متنقلا بين بلدانه.

[1] ادوارد سعيد: خارج المكان،ص135،136.

المبحث الرابع: العلاقة بين الذاكرة والهوية عند " إدوارد سعيد" خارج لمكان"

الناظر في كتاب (خارج المكان) " لإدوارد سعيد" بوصفة سيرة ذاتية، لا شكّ أنّه سينكشف له ذلك التآزر القوي بين الذاكرة والهوية، وانطلاقا من المساءلة الهوياتية للذاكرة؛ هذه الأخيرة ما هي إلاّ نافذة تطلّ على عمق معاناة وتصدّع الهوية عنده، والشتات الذي بدا في بدايات حياته، والمتمثل في: تاريخه العائلي، الاسم المركب، اللغة المزدوجة، حياة المنفى التي كانت بالنسبة له تقييد للهوية ومحو لها، من خلال استعادة وضعيته كمنفي، وكيف أصبح هو عائلته منفيين من الوطن، موضحا هذا الوضع بالنسبة له، ولباقي الفلسطينيين عن طريق الذاكرة الجمعية، وهذا ما أكّده " جويل كاندو" وبقوله: «إن الذاكرة الجمعية، شأنها شأن الهوية التي تتصف الذاكرة الجمعية بأنّها وقودها، لا وجود لها إلا على نحو متغاير، إلا في صلة متحركة دائما تقام مع الآخر»[1].

ويعني هذا أنّ الهوية ليست شيئا جامدا، بل حالة تستمّر في التكوّن والتّشكل. فالذاكرة الجمعية " لإدوارد سعيد" الخاصة تتمثّل في استعادته لما جرى من حروب وانتهاكات لمناطق ووقائع دمويّة، فهي تشكل دون ريب ذاكرة مقلقة تؤول إلى صنع أزمة هوية بقوله: «والواقع أنّي تعلمت، وحياتي مليئة إلى هذا الحد بتنافر الأصوات، أن أؤثر إلا أن أكون سويّا تماما، وأن أظلّ في غير مكاني » [2] .فهو يشير هنا إلى نزعة التشكيك، والتي تجعله غير مقتنع على الدوام.

كما تتأسس العلاقة بين الذاكرة والهوية عند " إدوارد سعيد" على الكيفية التي أتاحت بها الذاكرة للذات في الاستمرار والسرد بالنسبة للهوية؛ فالرؤية الذاتية التي رسمها في كتابه" خارج المكان" هو تمثيل الهوية بواسطة الذاكرة، أي بناء هوية وطنية عن طريق ذاكرة موحدة من خلال محاولته إجادة توازن بين ذاكرة الماضي، وتصور

[1] جويل كاندو: الذاكرة والهوية، المرجع السابق، ص67.
[2] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص359.

مناسب لهوية تنطمس بدورها أمام هويات بصيغة الجمع، متحركة، متشظاة بقوله: « إنّ هويتي ذاتها تتكون من تيارات وحركات لا من عناصر ثابتة جامدة»[1].

فالاسترداد المفرط للذاكرة عند " إدوارد سعيد" فهو من أجل ترميم الهوية، من خلال خلق وعي ذاكرتي متماسك بالهوية الشخصية، الفلسطينية وحمايتها من الطمس والضياع وهذا ما ذهب إليه " جويل كاندو" وبقوله: « فليس ثمة بحث عن الهوية دون الذاكرة والبحث عن الذاكرة، بالمقابل، يرافقه دائما شعور بالهوية، الفردية على الأقل»[2].

ويعني هذا أنّه لا يمكن لجماعة، أن تعيش دون هوية وقبل ذلك بلا ذاكرة، ممّا يجعل الهوية متجذّرة في سيرورة ذاكراتية، وهذا ما أكّده " إسحاق شيفا".

إنّ الذاكرة عند " إدوارد سعيد" مستعادة من زمن الأزمة والاضطراب الهوياتي، ذلك أنّ عمل الذاكرة، هو العامل في بناء هوية الفرد، وهذا ما ذهب إليه " آن موكسيل" في كتابه " الفرد والذاكرة الأسرية".

كما اعترف" إدوارد سعيد" بدور الذاكرة في تمكينه على المقاومة، وخلق الشعور بالهوية وتعدّدها في الوقت نفسه، بقوله« ....، شكلت جزءا عضويا من عملية نمو واكتساب هويتي وتكوين وعيي لنفسي وللآخرين»[3].

ساهمت الذاكرة في خلق وعي لدى" إدوارد سعيد" بهويته الشخصية والفلسطينية؛ ذلك أنّ أزمة الهوية عنده، نابعة عن ذاكرة جمعية، إضافة إلى عذابات المنفى؛ أي صاغ رؤيته للهوية انطلاقا من منفاه الشخصي، ومناصرته للفلسطينيين بوصفهم شعبا عانى –ولا يزال يعاني–من القمع والتهجير. لتظهر شخصية العربي التي أدت ثقافته الغربية إلى توكيد جذوره العربية، وعودته إلى الأصل؛ أي من الخارج إلى الداخل، ولكنها عودة عبر الكتابة وإعادة اكتشاف الذات، والمكان الذي تعيش فيه، وتتعامل معه، وتتحرك فيه، لتكون بذلك الذاكرة أكثر مركز

[1] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص9.
[2] جويل كاندوا: الذاكرة: الذاكرة والهوية، المرجع السابق، ص15.
[3] إدوارد سعيد: خارج المكان، ص22.

انشغالا بقضايا الهوية والموقع عنده، كاشفا عن ذلك في سيرته كخطاب مؤسّس لرؤية ما عرضته ذاكرته؛ خصوصا وأنّه اختار استعادة هويته العربية، مبيّنا ظروفه الخاصة والعامة وراء تلك الأزمات الشخصية. حيث عاد بالذاكرة

إلى استحضار انتمائه وهويته الفلسطينية العربية؛ فهو فلسطينيّ يعيش في الشّتات والانفتاح والتّلاقح ما بين الثقافات، مسلّطا الضوء على ذاكرة التحدّي التي ظلّت قائمة ومستمرّة في البحث عن هوية، ومكان ووطن، وشعب اقتلع من أرضه ورمي خارج المكان، أمّا في داخله فهو متمسك بهويته وجذوره وتاريخه. لتكون الذاكرة أكثر صوت فعال في الدفاع عن مسألة الهوية وتشكّلها، وإمكانيّة معرفة الذات وتأكيد حضوره الذّاكراتي، بكلّ ما يعجّ فيها من تفاصيل قياسا إلى منجزه الفكري الكبير وبصيرته الثّاقبة .

الخاتمة

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن إجمال أهم النتائج المتوصل إليها:

– تعتبر السيرة الذاتية جنسا أدبيا قائما بذاته، ومرآة عاكسة لحياة الكاتب وخبراته وتجاربه،من خلال الأنا الساردة التي تمثل الأنا الفاعلة في النص،تستهدف إعادة بناء النظر إلى بعض القضايا الخاصة والعامة، فأصبحت من أكثر أجناس الأدب الحديث انشغالا بقضايا الهوية والدات، وعلاقة الذات بالوجود، وهدا ما ظهر جليا في سيرة "إدوارد سعيد" كتاب خارج المكان.

–جاءت سيرة " ادوارد سعيد"، تشخيصا واقعيا للحالة النفسية التي يعاني منها، وهي شعوره الدائم بفقدان الهوية، والنفي والاغتراب الناجم عن اغتصاب تاريخي لوطنه الأم فلسطين، فكان ملتزما بأداء رسالة إنسانية أخلاقية في موضوع أدبي.

–ركز الناقد " إدوارد سعيد" في سيرته على فكرة إثبات وتأكيد الهوية الفلسطينية والثقافية والعربية، بصدق إيصال رسالة للقارئ، والمتمثلة في التحلي بالأخلاق والقيم تحت أي ظرف كان.

–تعدد المواضيع المطروحة، من نفسية، أخلاقية، إنسانية، اجتماعية، ثقافية، تاريخية ، والتي ساهمت في بلورة أحداث الخطاب السّيري لدى " إدوارد سعيد".

–اعتماد " إدوارد سعيد" على مخزون الذاكرة أثناء تعبيره على المهمش والمسكوت عنه، وهو الناقد الذي عاش تجربة المنفى، ومفارقة الهوية، فوردت معظم الأحداث من الذاكرة، وارتباطها بأحداث من الواقع، وهو ما أدّى إلى بروز تداعي في الأفكار لديه.

–تأثير المكان في نفسية " إدوارد سعيد" كان كبيرا، من خلال تحول بعض الأماكن إلى عناصر فنية، تجري فيها الأحداث والوقائع، لأنها أمكنة ارتبطت بتجارب الرحيل وحلم العودة، لذلك فإن صورة المنفى –في مظاهرها المختلفة –مزيج من الأمكنة التي لا يمكن حصرها، لكونها أمكنة الخارج، لذلك ظلت حاضرة وماثلة في ذاكرته.

-إن حياة المنفى، الهجرة، الارتحال التي عاشها " إدوارد سعيد"، متنقلا بين أماكن كثيرة –فلسطين، القاهرة، ظهور شوير، الولايات المتحدة الأمريكية-فرضت عليه العيش ضمن أقلية هجنية متعددة ثقافيا؛ أي متنوعة من حيث اللغة، العادات، التقاليد...

-لقد لعب المنفى دورا مهما في حياة " إدوارد سعيد"، فهو إعادة بناء حياته الفلسطينية الضائعة في عالم غربي (الولايات المتحدة) التي تدعم الكيان الصهيوني للقضاء على تاريخ فلسطين.

-يعد" إدوارد سعيد" من أبرز المدافعين عن قضية فلسطين في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من خلال إصداره مجموعة من الاتفاقيات ومعاهدات السلام التي تخدم مصالح الشعب الفلسطيني، فقد كان دفاعه بالقلم وليس بالسلاح.

-القلق الوجودي والهوياتي، الذي يلاحق" إدوارد سعيد" في حياته، جعل منه ناقدا وأديبا ومفكرا، فقد كان من الأصوات المنادية بالتعدد الثقافي؛ لأن الهويات والثقافات متداخلة فيما بينها، وبخاصة بفعل الاحتكاك الدائم، ولعل هذا ما تجسده تنقلات " إدوارد سعيد" وعائلته في قضاء عطلة الصيف في أماكن متعددة.

-تعدد هوية الفرد يولد داخل نفسية العديد من الصراعات والتناقضات التي تكشف عن ارتباكات التمركز والانتماء، وتشتت تموقعه داخل المنظمات الهوية، وما يسبب أزمات نفسية واضطرابات على مستوى الكينونة، ولعل هذا يتضح من خلال ثنائية الانتماء التي كان يعاني منها الناقد " إدوارد سعيد".

-تجمع الموسيقى وتؤلف بين الهويات المختلفة والمتنافرة تحت لواء الطباقية فتمنع بذلك كل الفروق بين ذوات الأفراد وهوياتهم، وخير مثال يجسد ذلك هو اهتمام " إدوارد سعيد" بالموسيقى، بشدة وتأليفه العديد من الكتب في هدا المجال. وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا بعض التوفيق، في هذا الجهد المتواضع، الذي يعود الفضل في انجازه بالدرجة الأولى إلى الله سبحانه وتعالى الذي منحنا سعة رحمته، ووهب لنا من نور علمه وأعطانا من قوته ما جعلنا نكابد مشقة العمل بحب وصبر.

الملحق

ترجمة عن حياة الكاتب إدوارد سعيد

ولد" إدوارد سعيد" في القدس؛ في فلسطين عام 1935، وتوفي عام 2003، وقد التحق بالمدارس الابتدائية والثانوية في القدس وفي القاهرة، ثم تخرج متخصصا في الأدب الإنجليزي في جامعة برنستون عام 1957،وحصل على الماجستير عام 1960 من جامعة" هارفارد" والدكتوراه من الجامعة نفسها عام 1964، حيث فاز بجائزة أفضل ناقد فبدأ نجمة يسطّع، ليبدأ حياته العملية أستاذ ينتقل بين الجامعات الأمريكية الكبرى حتى استقر به المقام في جامعة كولومبيا أستاذا للغة الانجليزية وآدابها والأدب المقارن، ومند نشر كتابه الأول عام 1966 عن الروائي " جوزيف كونراد" وكتبه تحوز الإعجاب وتفوز بالجوائز، الأمر الذي أكسب آراءه مصداقية وحقق لها الانتشار واتساع التأثير، وخصوما بعد ذيوع المذهب النقدي الذي ارتبط باسمه والذي يشار إليه عادة باسم نظرية ما بعد الاستعمار. وهو المذهب الذي ساهم مع غيره من المذاهب النقدية الحديثة مثل التاريخية الجديدة –في أمريكا– والمادية الثقافية في بريطانيا في تأكيد العودة إلى النّظرة التكاملية أو الكلية للأدب باعتبار نشاطا إنسانيا ثقافيا بمعنى أنه ينبع من الثقافة الخاصة لكل مجتمع ويصب فيها.

يعدّ "إدوارد سعيد" كاتب غزير الإنتاج وهو مؤلف الاستشراف وقضية" فلسطين" وتغطي الإسلام والثقافة، والمثقف والسلطة" وتأملات حول المنفى، وكتاب خارج المكان، وغيرها من الكتب التي ألفها وبذلك فقد ساهم في تحرير عدد من الكتب الأخرى وفي كتابه مئات المقالات السياسية الأدبية في الدوريات الأمريكية والبريطانية والعربية، في عدد من الصحف والمجالات العالمية في مواضع مختلفة فروع المعرفة.

أصبح "إدوارد سعيد"، منذ استقالته من المجلس الوطني الفلسطيني عام 1991، واحدا من أبرز المناهضين لما يسمى بعملية السلام، وظل صوت منفردا للمقاومة وسط جو يائس ويعتبر سعيد الثقافة من وهم (الوسائل لمحاربة الذوبان والإلغاء.

ملخص الكتاب (خارج المكان):

هو سيرة ذاتية للكاتب والمفكر والناقد" إدوارد سعيد "كتبها باللغة الإنجليزية. تحكي عن الجانب الإنساني في شخصية "إدوارد سعيد"، ففي عام 1991 عرف أنه مصاب بسرطان الدم اللمفاوي، ومن هنا ألّحت الحاجة عنده بأن يكتب المرحلة الأولى من حياته؛ سنوات الطفولة والشباب، وولادته ونشأته في القدس، وشبابه في القاهرة وتنقله بين مصر ولبنان، فكانت طفولته عبارة عن حركة متنقلة.

مؤكدا في كتابه هذا على فكرة هويته المقدسية الذي حاولوا الصهاينة دائما وباستمرار أن ينكروها عليه، وأيّ أحد يقرأ لإدوارد سعيد يلمس هذا الالتباس والارتباك والألم فهو عربي الأصل أم أمريكي الثقافة والحياة، وذلك أنّه يحسّ بين الهويتين بالغربة، إلاّ أنه مصرّ على الاحتفاظ بوطنيته وانتمائه للقدس.

فسيرته الذاتية لا تقدّم فقط حياة الكاتب، ذلك أنها حياة عامة مشتبكة بالواقع، فعند قراءة مذكرته فإنك ترى تفاصيل هزيمة العرب عام 1948، وسقوط القدس بيدي الصهاينة، وعلى الواقع السياسي والاجتماعي والأحداث الجسيمة التي كانت بمصر.

نشأ "إدوارد سعيد" نشأت ثقافية عالية، وهي ثقافة غربية على العموم، وانتبه فيما بعد لقضايا المنطقة وصار عنده فضول التعرف على منطقته الأم. ولما كان في الثانية عشر من عمره يجلس هو وأمه يقرءان لشكسبير، ويؤذيان مسرحية" هاملت "، ويحضر الأوبيرا، ويلعب البيانو، والحقيقة أنّه كان يعيش في عزلة برجوازية، حتى العائلة نفسها لم تكن مشتبكة بالمجتمع الفلسطيني، وأظن أنها كانت مقصودة وتحس بنبرة أسى في كتاباته.

فجر المرض الرغبة عنده في العودة إلى الذات لأنّ ذاته كانت متشظاة، وتشظي الهوية عنده أنتجت كل هذا الإبداع الفكري والفني والإنساني.

جوسيف بريور (1842-1925): ولد في فيينا،تعلم في جامعة فيينا، تخصص طب.

أغسطين: كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي- لاتيني، ولد في طاغاست(حاليا سوق أهراس، الجزائر) يعد أحد الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية.

جون إيكيز:عالم فيزيولوجيا، تحصل على جائزة نوبل في الطب العام 1963 لأبحاث حول التشابكات العصبية.

بول ريكور(1913-2005)، فيلسوف فرنسي وعالم إنسانيات معاصر، هو واحد من ممثلي التيار التأويلي.

موريس هالبوكس: فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، معروف بتطوير الذاكرة الجمعية.

هنري برغسون(1859-1941): فيلسوف فرنسي، حصل على جائزة نوبل للآداب عام 1927 ويعتبر من أهم الفلاسفة في العصر الحديث.

محمد صابر عبيد: ناقد وكاتب وباحث عراقي، أصدر عددا هاما من الكتب النقدية، حاصل على الدكتوراه في الأدب العربي الحديث والنقد عام 1991.

غاستون باشلار(1884-1962): فيلسوف فرنسي، قدم أفكارا مميزة في مجال الابستومولوجيا.

أرسطو(384-322 ق.م): فيلسوف يوناني قديم،كتب في مواضيع متعددة.

حسن حنفي: ولد في (1935)، مفكر مصري،يقيم في القاهرة، من أهم أعماله: التراث والتجديد.

شلينج (1775-1854): فيلسوف ألماني مثالي، من أهم مؤلفاته: الميثالية المتعالية، فلسفة الفن.

هرمان ابنجهاوس: عالم نفس ألماني، ظهرت أولى الأبحاث المتصلة بالذاكرة سنة 1885 من خلال أعماله وكتابه"عن الذاكرة".

هويدا عدلي: هي رئيس قسم الراي العام بالمركز القومي للبحوث الإجتماعية، ولها العديد من المؤلفات عن المجتمع المدني والتنمية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا–المصادر:

1. إدوارد سعيد: خارج المكان، تر: فواز طرابلسي، دار اللأداب للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2000.

ثانيا–المعاجم:

2. إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د.ط،1983 .
3. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، ج14، دار صادر، بيروت، ط3، 1414.
4. ابن منظور: لسان العرب، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1،المجلد،2005.
5. لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية عربي ،انجليزي ، فرنسي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ،ط1 ، 2002.
6. لويس معلوف: المنجد في اللغة و الأدب و العلوم، مادة الهوية، دار صادر، بيروت، ط8.
7. مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،1983.
8. المعجم الوسيط ،مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ،ط4.

ثالثا–المراجع :

أ–الكتب العربية :

1. إحسان عباس : فن السيرة ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ،1996.
2. أحمد منور: أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية دراسة أدبية،دار الساحل للكتاب، الجزائر، د.ط،2013.
3. إدوارد سعيد: الهجنة، السرد، الفضاء، الإمبراطوري، إشراف إسماعيل مهنانة، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013.
4. إدوارد سعيد: فرويد وغير الأروبيين، دار الآداب، بيروت، ط1، 2004.

5. أشرف حافظ: الهوية والصراع مع الذات، دعوة للنهظة الفكرية وإعادة صياغة المفاهيم، دار كنوز للمعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012.

6. تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2002.

7. حاتم الورفلي،بول ريكور: الهوية و السرد،دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط.د،2009.

8. حسن حنفي: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012.

9. خليل نوري ميسهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية،سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، بغداد، ط2009،1.

10. رافع النصير الزغول، عماد عبد الرحيم الزغول :علم النفس المعرفي، الشروق ،د.ط .

11. رجاء محمود أبو علام:سيكولوجية الذاكرة وأساليب معالجتها، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان ،ط1 ،2012.

12. الشريف حبيلة:بنية الخطاب الروائي(دراسة في رواية نجيب الكيلاني)،عالم الكتب الحديث، الأردن، د.ط،2010.

13. شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ،ط1 ، 2009.

14. شوقي ضيف: الترجمة الشخصية ، دار المعارف ، ط4 ، 1987 .

15. طالب علي: الهوية، بيت المواطن للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2016.

16. عبد السلام المسدي:الهوية العربية و الأمن اللغوي (دراسة توثيق)، المركز العربي لأبحاث و دراسة السياسات، بيروت،ط2014،1.

17. عبد العزيز شرف : أدب السيرة الذاتية ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع ، القاهرة ،د.ط ،1992.

18. عهد كمال شلفين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع دراسة في الفكر العربي المعاصر، الهيئة العامة السعودية للكتاب، دمشق، د.ط، 2015.

19. فرج عبد القادر ،شاكر عطية قنديل:معجم علم النفس و التحليل النفسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1.

20. محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2007.

21. محمد عابد الجابري: مسألة الهوية العروبة والإسلام، الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 1433هـ، أيلول/ سبتمبر، 2012.

22. محمد عبد الغني حسن : التراجم والسير فنون الأدب العربي ، الفن القصصي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، 1919.

23. محمد قاسم عبد الله: سيكولوجية الذاكرة(قضايا و اتجاهات حديثة)، علم المعرفة، د.ط،2003.

24. محمود عبد الغني محمد:فن الذات دراسة في السيرة الذاتية لابن خلدون ،دار أزمنة ، عمان ،ط1 ،2006.

25. هاري لورين: الدليل الكامل للتحكم في الذاكرة(طريقة تنظيم قوة عقلك وتطويرها)، حقوق الترجمة العربية و النشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط8،2009.

26. هاني الجزار: أزمة الهوية والتعصب (دراسة في سيكولوجية الشباب)، هلا للنشر والتوزيع، ط1، 1432هـ-2011م.

27. يحي إبراهيم عبد الدايم : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ط.

ب-الكتب المترجمة :

1. إدوارد سعيد: السلطة والسياسة و الثقافة ،تر: نائلة قلقيلي حجازي ، دار الآداب، بيروت، ط1، 2008.

2. إدوارد سعيد: العالم والنص والناقد، تر: عبد الكريم محفوظ من منشورات، دط، 2000.

3. إدوارد سعيد: القلم والسيف،تر:توفيق الأسدي،دار كنعان للدراسات والنشر،دمشق،ط1998،1.

4. إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى، تر: ثائر ديب، دار الآداب، بيروت ،ط1، 2004.

5. أليكس مكشيللي: الهوية، تر: علي وطفة، صادر عن دار النشر الفرنسية، ط1، 1993.

6. بول ريكور:الذاكرة التاريخ النسيان، تر: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة،فرنسا، ط1، 2000.

7. جويل كاندو: الذاكرة والهوية، تر: وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ط، 2009.

8. جيفري أ. دادلي: أسرار الذاكرة (كيف تضاعف قدرتك على التعلم)،تر:علي عفيفي، هلا النشر و التوزيع،د.ط.

9. ديفيد بارساميان: الثقافة والمقاومة، لإدوارد سعيد، تر: علاء الدين أبو زينة، دار الآداب، بيروت،دط.

10. علي بن محمد بن علي الجرجاني: كتاب التعريفات، تر: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط،2002 .

11. فيليب لوجون : السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي،تر:عمر حلي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ،1994.

12. كلود دوبار: أزمة الهويات(تفسير تحول)، تر: رندة بعث، المكتبة الشرقية، لبنان، ط1، 2008.

13. لورون بوتي :الذاكرة أسرارها و آلياتها، تر: عزالدين الخطابي، هيئة أبوظبي للسياحة و الثقافة، أبوظبي ،ط1،2012.

14. ميري ورنوك: الذاكرة في الفلسفة و الأدب، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة،ط1، 2007.

15. هارلمس و هولبورن: سوسيولوجيا الثقافة و الهوية، تر: حاتم حميد محسن،دار كيوان للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010.

16. يان أسمن: الذاكرة الحضارية(الكتابة و الذكرى و الهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى)،تر: عبد الحليم عبد الغني رجب،حقوق الترجمة و النشر بالعربية محفوظة المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة، ط1، 2003.

رابعا–المجلات:

1. الهوية الثقافية بين قيم الأصالة و الحداثة في ظل التغيرات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية،المركز الجامعي، الوادي.

2. الهوية الثقافية و التعليم في المجتمع المصري(رؤية نقدية)،مجلة كلية التربية، جامعة بني سويف،عدد يناير، ج1،2019.

3. مستويات تشكل الهوية الاجتماعية، و علاقاتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين، مجلة جامعة دمشق، مج،27، ملحق2011.

4. العولمة والهوية الثقافية للشباب الجزائري(مفاهيم و تجليات)،مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة،العدد2017،7.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**أ–د**
مدخل إلى السيرة الذاتية	
أولا: مفهوم السيرة الذاتية	**5**
أ–لغة	**5**
ب–اصطلاحا	**6**
ثانيا: نشأة وتطور السيرة الذاتية	**9**
أ–عند الغرب	**9**
ب–عند العرب	**10**
ج–السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث	**13**
ثالثا: أنواع السيرة الذاتية	**14**
رابعا: خصائص السيرة الذاتية	**15**
الفصل الأول: تجليات الذاكرة والهوية في كتاب خارج المكان لإدوار سعيد	
المبحث الأول: جمالية السيرة الذاتية في خارج المكان لإدوارد سعيد	**17**
أ– بين الاسم المركب وازدواجيته اللغة	**18**
ب–إدوارد سعيد بين تاريخة العائلي ومساره التعليمي	**22**
ج–حياة المنفى وديناميةالهوية	**28**
د– القضية الفلسطينية	**32**

فهرس المحتويات

المبحث الثاني: الذاكرة	**36**
أولا: مفهوم الذاكرة	**36**
أ-لغة	**36**
ب-اصطلاحا	**37**
ثانيا :أهمية الذاكرة	**38**
ثالثا :أنواع الذاكرة	**39**
أ-الذاكرة الحسية	**39**
ب-الذاكرة ذات المدى القصيرة(ذاكرة الاشتغال)	**40**
ج-الذاكرة ذات المدى الطويل	**41**
رابعا: فضاء الذاكرة عند إدوارد سعيد في خارج المكان	**43**
أ -ذاكرة السيرة الذاتية	**45**
ب-الذاكرة الفردية	**48**
ج-الذاكرة الأسرية	**52**
د-الذاكرة الجماعية	**55**
هـ-الذاكرة النفسية	**58**
و-ذاكرة الأماكن	**61**
ز-الذاكرة الثقافية	**69**
ص-الذاكرة التاريخية	**72**

فهرس المحتويات

تأثير الهزّات الذكرياتية في فكر "إدوارد سعيد" الثقافي والكتابي	**74**
المبحث الثالث: الهوية	**78**
أولا: مفهوم الهوية	**78**
أ-لغة:	**78**
ب-اصطلاحا	**79**
ثانيا:الخصائص الأساسية للهوية:	**81**
ثالثا: ثالثا:أبعاد الهوية في سيرة إدوارد سعيد	**81**
أ-الهوية الاجتماعية	**82**
ب-الهوية الثقافية	**85**
ج-الهوية الفلسفية	**87**
د-الهوية النفسية	**89**
انعكاسات تشظي الهوية على" إدوارد سعيد"	**91**
المبحث الرابع: العلاقة بين الذاكرة والهوية لدى إدوارد سعيد(خارج المكان)	**108**
الخاتمة	**111**
الملحق	
أ- ترجمة عن حياة الكاتب إدوارد سعيد	**113**
ب- ملخص الكتاب (خارج المكان)	**114**
ج-الأعلام	**115**

فهرس المحتويات

قائمة المصادر والمراجع	116
فهرس المحتويات	122
الملخص	

الملخص:

تناولت هذه الدراسة موضوع"الذاكرة والتباس الهوية" في كتاب خارج المكان لإدوارد سعيد، لتلقي هذه القراءة الضوء على سيرته بوصفها خطابا مابعد كولونياليا، تسللت وقائعه من ماضي "إدوارد سعيد"، وحقائق تاريخية وإجتماعية وثقافية،إلى مذكراته لتطفح بشتى أنواع الجروح الكولونيالية، التي كان لها أثر بارز في تشكيل وعيه الحاد الذاكراتي بتشظي الهوية لديه، ومحاولة البحث عن العلاقة المستعصية بين وعي الهوية(كفلسطيني عربي) ووعي الكولونيالية في فكره.والكشف عن دور الكولونيالية الغربية في هذه المفارقة التي طالت تفكيره ووعيه وإدراكه للكون، فضلا عن هويته وذاكرته بشكل خاص، ليصل هذا التشظي ذروته من خلال التّأثير على مخيلته وكتاباته.

Summary :

This study deals with the topic of «memory and confusion of identitiy »in a book out of place by Edward Said.

This reading sheds light on this biography as a post colonial discourse , whose facts crept from Edward Said's past, his torical , social and cultural facts,to his memoirs to inffame all kinds of wounds colonialism ,which had a prominent impact in the formation of his acute awareness of the memories of the faragmentation of his identity,and the attempt to search for the intractable relationship bitween the awareness of identity « as a palestinan Arab » and the awareness of colonialism in his Tought ,And revealing the role of western colonialism in the paradox, which affected his thinking, awareness and awareness of the universe, as well as his identity and memory in particular ; so that fragmenetation reached its climax through its effect on his imagination and his writing.